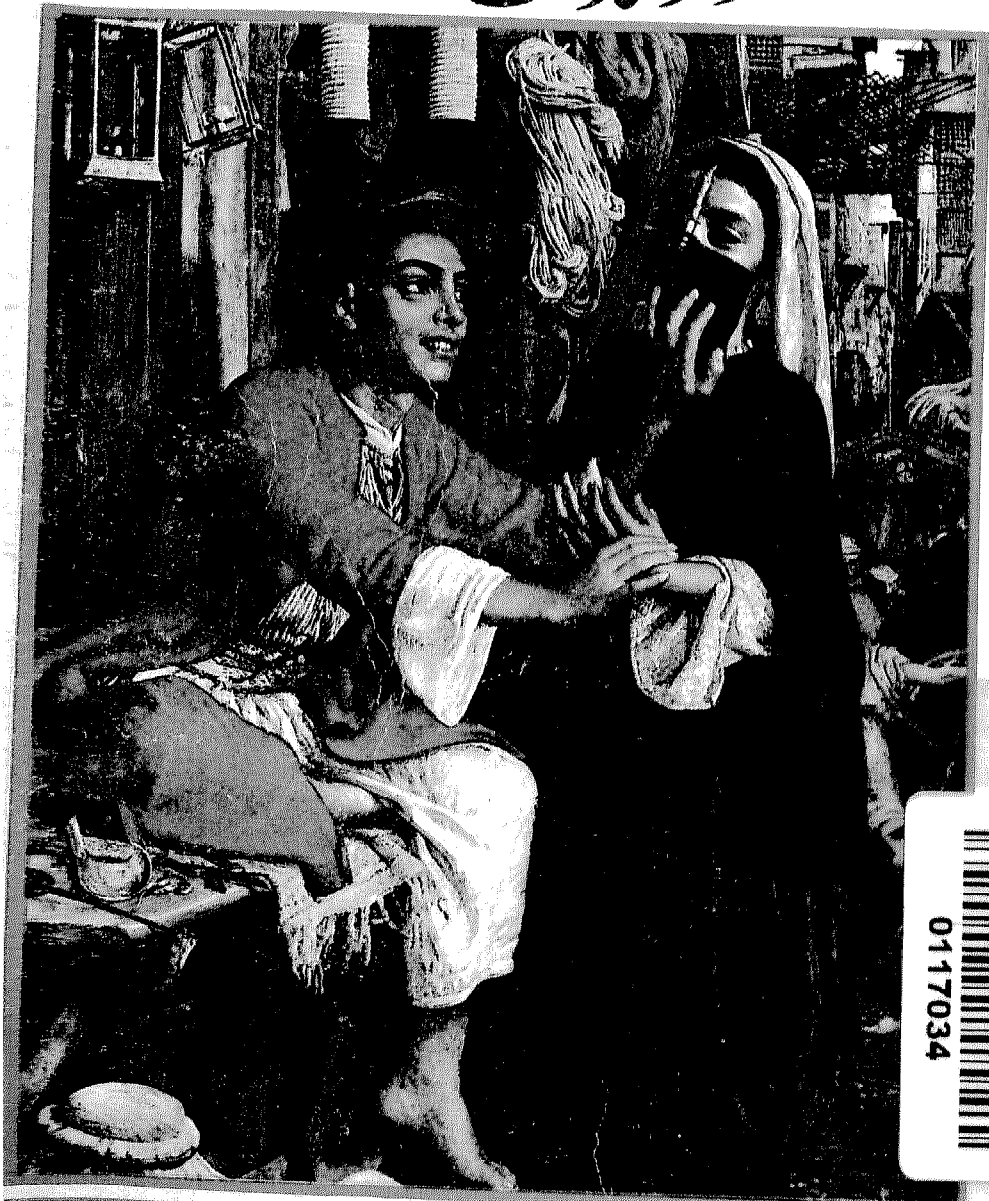
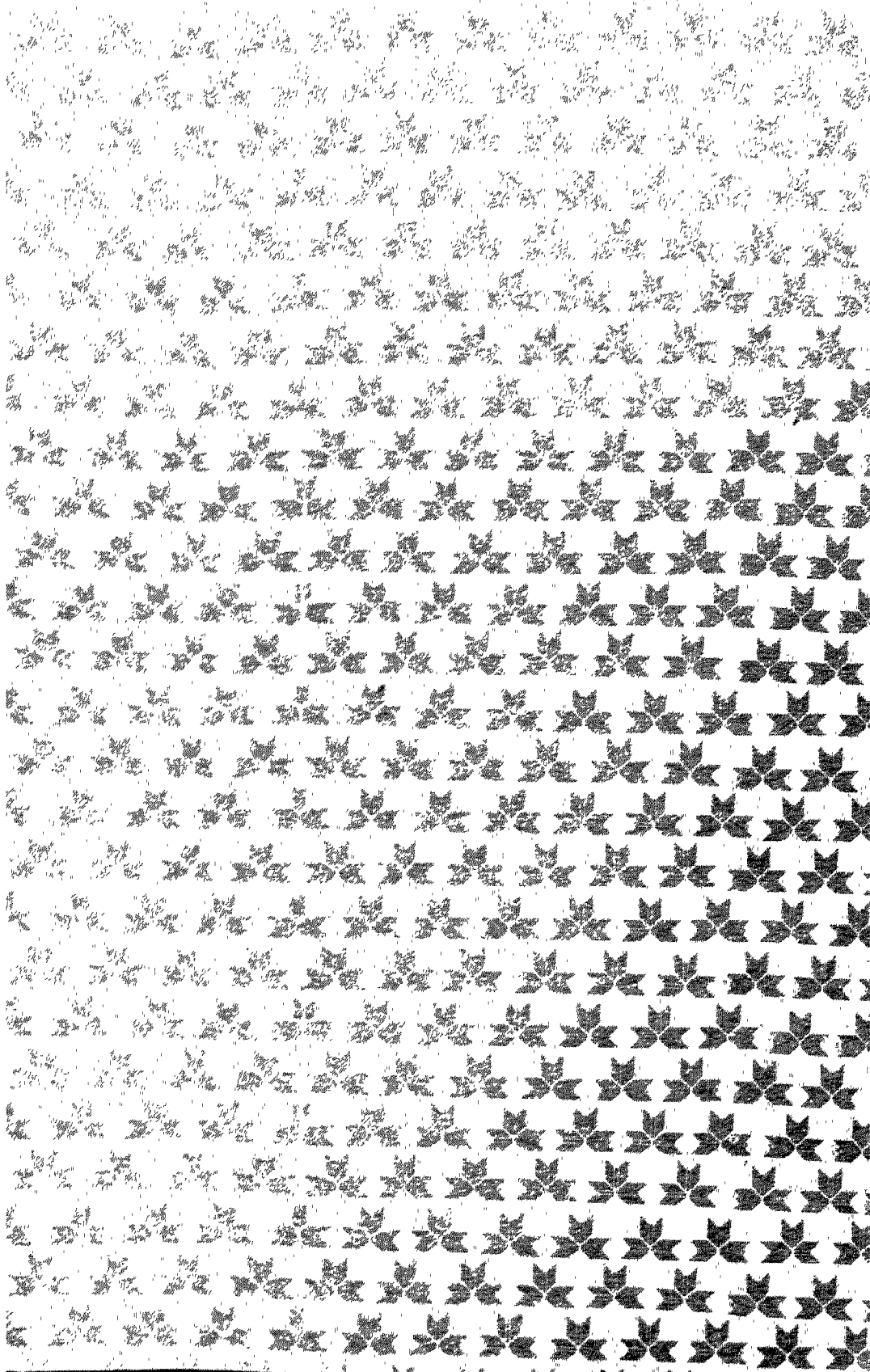


الحب عند العرب

للعلامة المحقِّق المفقور لمة

أحمد تيموري





الحُبُّ عِنْدَ الْعَرَبِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَقِّقِ الْمَغْفُورِ لِه
أحمد تيمورباي

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق
والجمال والغزل ووصف النساء ومقاطع رقيقة ونوادر فائقة للشعراء
العشاق من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع



دار المعارف للطباعة و النشر
سوسة - تونس

العدد المسند من طرف الناشر 93/247
تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

تمهيد لمقدمة الكتاب (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى حكم بمدله فقهه ، ودبر بطله فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحبائه
وجملهم أحببياً ، وجعل لهجائس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر
والأخبار ، ويفتخمون فى تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتناشد الأشعار . أحمد على كلِّ
نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلِّ ذنب يوجب النعمة ،
وأتمهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبحرنى من الخطايا والزلل ، وأتمهد
أن عمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع
رائقة ، وقصائد فائقة ، من كلِّ لفظ بديع وممان كأنها زهر الربيع ..

(1) عثرت اللجنة بين مخطفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة هذا الكتاب ، ولم نجد أثراً
لهية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعجل الأجل
تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أحيّ قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعاني أحبّك بقاى كلّه ، وأرضيك بجهدي كلّه .
اللهم اجعل حبي كلّه لك ، وسمي كلّه في مرضاتك .

هذا الكتاب

بقلم الأستاذ عبد السلام شهاب

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجّة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المغفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادير وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخاطبيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتمرّضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ووزة المشتاقين » ، للمعلّامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بدّ واجد أنّها كلّها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحبّ ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثمّ هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحبّ والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوّق دقيق واعٍ لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمالٍ وتلالٍ وجبالٍ مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيومٍ ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجناف ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصديق وإخلاص ، فهذان يرهانان آخران على أنّهم خُلِقوا ليكونوا أحقّ بالحبّ وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تنسّى بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المملقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكنديّ :

أفاطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التّدلُّلِ وإن كنت قد أزممت صرعى فأجملِي
أغرّك مِنِّي أن حبّك قاتلِي وأنك مَهَمَّا تأمرى القلبَ يَفْعَلُ ؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَمْ نَتَنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاهُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومرآ كبتها التي حملها بعيداً منه ، ومرآ كبه التي بعى عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَّةَ شَهْمِدِ تَلُوحُ كَبَائِقِ الوِثْمِ فِي ظَاهِرِ أَيْدِ

ويقول عنزة بن شداد العبسي في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَّاحُ نَوَاهِلُ مِني وَبِيضُ الهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَهْلِهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ نَعْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتتح النابغة الذبياني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أفقرت من أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْمَلِكِيَاءِ فَالَسِّنْدِ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ
أَضَحَّتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

ويقول ذو الأصعب العدواني ، يشكو فراق محبوبته « ريباً » :

يَا مَنْ لِقَلْبِ طَوِيلِ البَثِّ مَحْزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمَّ هَارُونِ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا نَعَاصِينِي
تَرْمِي الوِشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الوُدِّ مَسْكُونِ

ويقول السموءل بن عاديا من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن ينتهي عن حب صاحبتة مهما يطَّلُ عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذَلْتِ عَصِيَّتِ
دَعِينِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَعْوَى - زَعَمْتِ - كَمَا عَوَيْتُ

أَعَادِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أتى مُنته . . . لقد انتهيتُ
وحتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَدَلِ عَادِلِهِ ، بكيتُ
وأى تعبير عن الحبِّ ، أرقُّ وأعذبُ وأنفذُ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي النخل يشكركى فى بساطة محبّبةٍ ، فقال :

وأحبّها ، وتحبّنى ويحبُّ ناقتهَا بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبِّ عند العرب » فى جاهليتهم فلا شكّ فى أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورقق من طباعهم وسما بهم درجات
فى تنظيم العلاقات بين الجلسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .
وأوجب معاشرة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدنيا
المرأة الصالحة » . وقال : « حُبِّبَ إِلَى من دنياكم ثلاث : النساء والطيبُ وقُرّةُ عيني
فى الصلّاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فهجّوا نهجه ، واتّبموا سنته . وأصبح معنى الحبِّ مرادفاً
لمنى العفة والرغبة فى استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أصاب فى زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدُها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفى أخبار الوالى العربى زياد بن أبى سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما ياتى من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما أتى من الخوارج والثنور ؟ قالوا : فمن أنعمُ الناس عيشة أيها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بانت سُمَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُورٌ مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدْ مَكْبُورٌ
وَمَا سُمَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَسْكُورٌ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، و عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواضع الحب ، ويجيز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلْنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعَنِّي وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فمفّ فمات ، مات فمهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بئينة الذي يقول فيها :

وإني لأرضى من بُئِينَةِ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاقِئِي لَقَرَّتْ بِلَابِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألني وبالأمل المرجو قد خاب أمه
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخره لا نلتقي وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أَقْبُبُ طَرْفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ

ومنها جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجهما ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِّ : هَلْ رَأَيْتِ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنِ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلُبَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَحْمُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أزيلُ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لِاسْتِجَابَةِ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتُ بِهِ لِحِينَ قَدْ أُتِيحَ لِي عَلَى أَنْي أَمْتَنَعَ عَنْ طُرُوقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْمَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةً لِفِرَاقِهَا .

ومنها قيسُ لُبَيْبِي . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحبِّ حيناً ، ثمّ طلقها نزولاً
على إرادة أبيه . ولم ينفمه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السلوان . لكنه لم يستطع
صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنها توبة بن الحمير وصاحبتة ليلي الأخيلىة ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيْلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَّيْ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنها كثير وصاحبتة عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبتة الثريا ، وقيس بن الملوّح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبتة لُبَيْبِي ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدُّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والنساء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتتمت عليها مكتبته . وترك جازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتمزم إضافتها إلى الأصول ، فتولت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أرادته .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أولها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمها عن ماهية الحبّ ومعنى الحبّ والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدين
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأبي واليتامى ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .
والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .
والخامس عن « الحبّ والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .
والسابع عن « العيون وما قيل فيها » نثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهم تردى العقلاء وتذلّ الأعراء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحبّ » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإننا لعلّ يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصّلة وموضحة
في هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجمله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والمتأدبين ولقراء العربية أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

عبد السلام شهاب

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل الأمامون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبمشت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلُقٌ حاصرٌ للنفس متّصل بخواطرها يسمّى الحب .

وسئل حمّاد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفسك . وعروقها الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنيّة .

وقال معاذ بن سهل : الحب أصعب ما ركب ، وأسكّر ما سرب . وأقطع ما لقي ، وأحلى ما اشتهى ، وأوجع ما بطن ، وأشهى ما علن . وهو كما قال الشاعر :

وللحب آفاتٌ إذا هي صرّحتُ تبدّت علاماتٌ لها غررتُ صُفْرُ
فباطنه سُقمٌ وظاهره جوى وأوله ذكْرٌ وآخره فِكْرُ

وقال بشار القبلي :

هل تعلمين وراء الحبّ منزلةً تُدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

وقال غيره :

أحبك حباً لو تحبين مثله أصابك من وجدٍ على جُنونُ
لطيناً من الأحشاء ، أمّا نهاره فدَمَعٌ ، وأمّا كَيْلُهُ فإنين

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف : الحب أوله هزلٌ وآخره جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالتهَا - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالماناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتيل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .

وللحب علامات منها : إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات

إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعمف ، وترك ركوب المصيبة والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبَمَةٌ

يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَرَجُلٌ قَابَهُ مُعَلَّقٌ بِالسَّجْدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّآ فِي اللهِ

اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَمَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ فَأَخْفَى حَتَّى

لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تَنْفِقُ يَمِينُهُ » .

الحب والمحبوب (١)

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ،

ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحب

علاقة ، وحب لخلان ، وحب هو القتل .

وكلا كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر

لاختلاف أنواع الحب ماكدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

(١) بدائع النوائد ص ٨٥ .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبامروان من أجل تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحَبَّ بالراء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمْرُهُ ما حَبَبْتُهُ وكان عِياضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبٌُّ ولم يقولوا : حابٌُّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرهُ متى بمنزلة الحَبِّ المسكرمِ

فهذا من : أحببت - كما أن المحبوب من : حبيتُ ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن محبته بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةَ :

وإن الكئيبَ الفردَ من جانبِ الحمى إلى وإن لم أنهِ لَحَبِيبُ

أى : لمحبوب . ومن محبته للفاعل - قول الجنون :

أتهجرُ كَيْلِي بالفراقِ حبيبتها وما كلُّ نفسٍ بالفراقِ تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبٌّ : مثل خدن ، نِفْدَنٌ وخدينٌ مثل :

حَبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقولُه : الحَبُّ ليس بمصدرٍ لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب وألسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أثقلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقبلاً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذله في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزلو الجبالُ الراسياتُ وقلبهُ على المهديِّ لا يلوى ولا يتغيرُ

وفي شرح لامية المعجم . . للصفدي :

فالحبُّ حيثِ العدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ -

الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :

« الحبُّ هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكي عن بعض العرب

أنهم يقولون : فلانة حَبَّتِي .

عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا أحسن شرفها ، فأنتي

لأعشق الشرفَ كما أعشقُ الجمال » .

وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :

« ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .

وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حببتِ كلَّ قصيرةٍ إلىّ وما تدرى بذاك القصائرُ

ولم يرد : القصيرة القدّ ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .

والمقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :

محبوسات . وقوله تعالى : « فيهنّ قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهنّ على أزواجهنّ

فلا يبينن بهم بدلاً .

ويدلّ على مراد كثيرٍ في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :

عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أردُ قصارَ الخطى ، سرّ النساءِ البحائرُ

والبحائرُ : القصار .

أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدته، وينحرف فيه منحى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُدرى... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع، كما عمّرَ فوقَ السّمانينَ عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضَنَّ عَنِّي بِالنَّزْرِ إِذْ أَنَا يَقْظَا نٌ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي الْمَنَامِ
وَالْتَقَيْنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَيْمٍ بَ سَوَى أَنْ ذَاكَ فِي الْأَحْلَامِ
وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَاقَةُ لَيْلًا فَالليالي خَيْرٌ مِنَ الْأَيَّامِ

وقال الشريف الرضى (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعشقه للحُسن والجمال :

بِنَدَا حَجِيمَيْنِ فِي ثَوْبِي هَوَى وَتَهَى يَلْفُنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمِ
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ النَّغْرِ يُوضِحُ لِي مَوَاقِعَ اللَّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر

قال حبيب البائي .

نَقَلُ فَوَادِكِ حَيْثُ شَتَّتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحِينَهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
وَقَد رَدَّ عَلَيْهِ شِعْرَاءُ آخَرُونَ . فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

أَفْخَرَ بِآخِرٍ مِنْ كَلَفَتْ بِحَبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حَبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَنْشُكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا سَادَ الْبَرِيهِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلِ ؟!

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدثوا أن الهوى لا شك فيه للحبيب الأول
ما لم أحن إلى خراب مقدره درست معالمه كأن لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلغه قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرصوا في قولهم ما الحب إلا للحبيب الأول
أو طيب في الطعم ما قد ذقته من ما كل أو طعم ما لم يؤكل
قال العلوّ الأصبهاني (١) :

دع حب أول من كلفت بحبه ما الحب إلا للحبيب الآخر
ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر ؟
إن المشيب وقد وفي بمقامه أوفى لدى من الشباب الغادر
دنياك : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

الحب مع اختلاف الدين

قال أبو الطحان الأسدّي ، وكان نديماً لناس من النصارى :

كأن لم يكن في القصر ، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معي كل فضفاض الثياب كأنه إذا ما جرى فيه الدمام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

وللشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءِ جَسْمًا بِاللِّحَاطِ يُشْرَبُ
ولفظه السَّحْرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ شُهْدٌ يَمْدُبُ
فأعجب لشهيدٍ مُسَكِّرٍ من سِحْرِ
قابله بأحسنِ الكلامِ مُرَجَّبًا مُعْظَمًا مقامي
ووجهه الوضاحُ في ابتسامِ وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ والإكرامِ
وبالجِئِلِ والحيا والبشرِ

الحبُّ في كلِّ حال

قال عنترة العبسيُّ به يصف حبه لعيلة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
أُحِبُّكَ يَاظُلُومُ وَأَنْتِ مَنِيَّ مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الجَبَانِ
ولو أَنِّي أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِيفْتُ عَلَيْكِ بِادِرَةِ الطَّعَانِ
وقال بعضهم ، في الوداع :
وَدَعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ إِذْ رَاخُوا . . فَا سَلَّمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظَلَمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ
وقال دعبلُ الخزاعي :
وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيسَ لِي مَتَأَخَّرُهُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ
أَجِدُ المَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لِذِيذَةِ حَبًّا لَذَكَرِكِ فَلَيْلُمْنِي اللُّومُ
وَأَهَنْتَنِي ، فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكِ مِمَّنْ يُكْرَمُ

حُبُّ النِّسَاءِ الْمَالِ

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ (١) : كَانَ « نُبَيْهَةٌ وَأَخُوهُ مِنْبَهَةٌ » مِنْ وَجْهِهِ قُرَيْشٍ ، وَذَوَى النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَسَكُنْهُمَا قُتَيْلًا « بَيْدَرٍ » كَافِرَيْنِ ، وَكَانَا مِنَ الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهَةٌ » بَضْمَ النَّوْنِ وَفَتْحَ الْمُوَحَّدَةِ بِمَدِّهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فِهَاءٌ » وَكُنْيَتُهُ « أَبُو الزَّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ سَمِيدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ هُصَيْنِ « بِالتَّصْنِيرِ » بِنِ كَسْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهَةً شَاعِرًا مُطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَقِيلٍ كَانَ يَقُولُ :

تلك عرساي تنطقان لهجره وتقولان قول أثره وعتره

فقال نُبَيْهَةٌ مِنَ الْقَافِيَةِ نَفْسَهَا ، فِي زَوْجَتِيهِ وَقَدْ سَأَلْتَاهُ الطَّلَاقَ :

تلك عرساي تنطقان على عمه
سألتاني الطلاق أن رأتا ما
فلعلني أن يكثر المأل عندى
وترى أعبد لنا وأواق
ونجر الأذبال في نعمة ثم
وى كأن من يكن له نسب
ويحب سر النجى ولكن
لدى أن اليوم قول زور وهتر
لى قليلا . قد جثماني بنكرى
ويعري من الغارم ظهري
ومناصيف من خوادم عشر
تقولان : ضع عصاك لدهر
يحب ومن يفتقر يعش عيش ضر
أحا المال محضر كل سر

ومن شعره :

قصر الشيء ولو كنت ذاماً
ولقأها : أنت الكريم علينا
ولكنت المعروف كيلاً هنيئاً
ل كثير لأجلب الناس حولى
ولخطوا إلى هواى وميلى
يُمَجِّزُ النَّاسَ أَنْ يَكِيلُوا كَكَيْلِي

(١) في خزنة الأدب ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبتنى إلا امرأً ذاملاً
لا أبتنى إلا امرأً ذا أنضرٍ كيا أسدُ مفارقٍ وخِلالي
فلاحرصنَّ على اكتسابٍ مُحبَّبٍ ولا كسبٍ في عَفَقٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج 2

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بابن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصناعة والرفقة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطأٌ نسخيٌّ غايةً في الحُسْن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان منغماً بشعر أبي العلاء المرعي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أن الخير كلُّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعيةً عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتاب ربّ العالمين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سُبُل الهوى فلزوم ما لا يلزم

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألم الفراقِ لو لم أُطلْ أملَ التلاقِ
فأظللُ كاللسوعِ من أنفى النوى ، ورجاي راقِ
يا نالك القمرين إلا في الكسوفِ وفي المحاقِ
حتام دُمعي فيك لا يرقا . . وروحي في التراقي
وإلام يستسقي الفؤا دُ ظمًا ، وأجفاني سواقي

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
 والحب ما أروى الضاو ع جوى ، وما أروى المساق
 فمساك أن تجزى موجه ك في المحبة بالوفاق
 ولقد لقيت هواك أع ظم ما لقيت ، وما الأقي
 وصبرت فيك على العدا صبر الأسير على الوفاق
 وعلمت أن الصبر يا عذب اللمى مر المذاق
 فأعرض عن الإعراض إء راضى لديك عن النفاق
 وارفق ولو بالإلتفا ت على ما بين الرفاق
 فلقد يكون تلفت الأ عناق داعية المناق
 واستبق منى باللقا ء بواقياً ليست بواق
 أعضاء صب ، ماله إلاك من عينيك واق
 فالبعض سود عيونها أمضى من البيض الرفاق
 وقدودهن رواشق في الطمن كالسمر الرشق
 وإذا بليت بجهن بليت بالدمع المراق
 ومن جيد شعره قوله :

ننفدك ساقياً قد كسك ال يحسن من فرقك المضى لساقك
 تشرق الشمس من يدك ، ومن في ك الثريا ، والبدر من أطواقك
 أوليس العجيب كونك بدرًا كاملاً ، والحق من عشاقك
 فتنة أنت إذ تميت وتحيى بتلايقك من تشا ، ورفراقك
 لست من هذه الخليقة بل أ ت ملكك أرسلت من خلافاك

الحبُّ خُضُوعُ النَّفْسِ

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمرا الأهدل
اليميني الحسيني مشهوراً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المنخأ ، وحصل له بها شأن عظيم يبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طوًلى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُجِدُّنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِي
قد قلتُ حينَ جهلتني وعرفتني رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أنتَ القَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحِبَّتِهِ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَاوْفِي
ولقد وصفتُ لك النِّرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَطَّفِي

وقال مخمّساً قصيدة ابن النبيه :

رقم المدوُلُ زخارفاً وتصنمًا وأشاعَ تقصَّ العهدِ عنكَ وشفمًا
فأجبتُهُ والنفسُ تقطرُ أدمماً أفديه إن حَفِظَ الهوسَى أو ضيماً
مَلِكَ الْفَوَادِ فَمَا عَسَى أَنْ أُصْنَمَا

حكيم النرامُ فُلْدُ بِهِ وَبِحَكِيمِهِ وَابْتُتْ عَلَى مَفْرُوضٍ وَأَجِبْ رَسْمِهِ
واخضعَ لِمَدَلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
حُلُوا فَقَدْ جَهَلِ الْحَبِيبَةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بِلُطْفِ جَمَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصُ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جَلْدِي نَكْصُ
ووثباتُ حُجْلِي حينَ زَمَرْتُمْ رَقْصُ

يا صاحبِ الوجهِ الْجَمِيلِ تَدَارِكُ الْعَمَّا بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَمَّا وَتَضَمَّنْضَمَّا
وَقَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْوَاوَاظِ أَسْمُهُ وَكَلَمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وهجرتني ظُلماً ولم أظلم هَلْ في فؤادك رحمةٌ لمُتيمِّم
صَمَّتْ جوانحه فؤاداً مُوجعاً
إِنِّي اعترفتُ بزَلَّتِي وجنائيتِي ورضاك مقصودي وغايةُ غايتِي
يَا مَنْ ضَلَّالِي فِيهِ عَيْنُ هِدَايَتِي هَلْ مِنْ سَبِيلِ أَنْ أُبْتَّ صَبَابَتِي
أَوْ أَشْتَكِي بُلُوأِي أَوْ أَتَضَرَّعَا؟
لِي فِي حِمَاكِ مَسَارِحَ وَمَطَامِحَ كَمْ بَتُّ لِلْعُزْلَانِ فِيهِ أَطَارِحُ
يَا قَلْبُ إِنْ الْيَوْمَ طَيِّبَكَ نَارِحُ يَا عَيْنَ عُدْرَتِكَ أَنْ حُبِّي وَاصِحُ
كُلِّي لِفُرْقَتِهِ أَرَادَ وَأَزْمَعَا

أشقى الناس أهواها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان له مذاكرة تأخذُ بلُبِّ الصاحب ومحاضرات وتُغَبُّ من محاضرات الراغب ، وله شعر قصير منه قوله :

كُتِبَتْ وَأَفْسَاكِي بِحَبِّكَ مُزِّقَتْ
وَلَوْ حُمَّ لِي التَّوْفِيقُ كَفْتُ تَرْكَنَهُ
كَمَا قَدْ بَدَّتْ فِي الْحَبِّ كُلِّ مَمْزُقِ
فَلَا تَفَكَّرْنَ هَذَا الْمَقَالِ وَصَدَقِ

وقال متنزلاً :

سَأَلْتَهَا عَنْ فُؤَادِي أَيْنَ مَسَكَنَهُ
فَأَيْهَا أَنْتَ تَبْنِي؟ قُلْتُ : أَشْقَاهَا
قَالَتْ : لَدَى قُلُوبِ جَمَّةٍ جَمَعَتْ
فَإِنَّهُ ضَلَّ عَيْنِي عِنْدَ مَسْرَاهَا

رابعة العدوية

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتمحرقُ
بالنار قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتفة : ما كنا نفعل هذا فلا تظنني بنا ظنّ السوء !
وكان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عندها يوماً ، فقال : واحزنائه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزنائه ! . لو كنت محزوناً لم يهيباً لك أن تنفّس .
وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتهما في المنام تقول : هدايك تأتينا على
أطباق من نور مخمّرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكنموا حسناكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :

إِنِّي جَمَلْتُكَ فِي الْفَوَادِ مَحْدَّتِي وَأَبْحَتُ جِسْمِي مِنْ أَرَادِ جُلُوسِي
فَلَجِسْمِي مَنَى لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفَوَادِ أُنَيْسِي

الحب أحسن المعاصي

في « لوعة الشاكي ودمة الباكي » لابن الصفي :

انتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السمد بالرجل والنخيل ، فأمرت صاحبي برفع الدمام ،
وتجهيز المرقد للنام ، ورفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطلال ، وعلق في المرقد
نفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والسنبر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : نم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت بمن تحققنا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عناورد
الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقات محبوبي : أما تقوم
بنا لننام ، وأتعم بتقبيل الثمر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت :
في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصهباءُ تُعدهُ سُكراً وحاول أن يسمي فلم يُطبقِ
وقال لي بفتورٍ من لوحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنقِ

فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل
وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إلا من مَحَبَّتِكُمْ فإنها حسناتي يوم ألقاهُ
فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فالحبُّ أحسنُ ما يُعصَى به اللهُ

الهوى قدرٌ

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرقُ يلْمَعُ في الغمامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلي . ومعناه : إن البرق يضحك

والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلعب

في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إلَّا تَسْكُنُ فِي الْهَوَىٰ أُرْوِيَتْ مِنْ ظَمَأٍ
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنْ الْهَوَىٰ بَدَلُ
فَحَسَبُ نَفْسِي غَنَىٰ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يَضْبَطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مَسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وَلَا فَسَكَّتْ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرَجُوهَا وَمَحْدُورًا
مِنَ الْهَوَىٰ وَبِأَنِّي كُنْتُ مَعْدُورًا
هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرًا
لَمْ تَلْقَ مِنْهُ الْفِتْكَ النَّفْسُ تَغْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارًا أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدْرَهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَىٰ لِلْهَوَىٰ فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَسْكُنُ لَدَيَّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَازَى
فَالِ أَهْوَنُ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعَتْ وَعَشْ سَلِيمًا

وَتَسْلُكُ فِي الْهَوَىٰ سَنَفًا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلِيًّا ؟
وَلَا أَرْضَىٰ مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا
خَسِيسْتُ عَنْ أَنْ أَحْبَبِي أَوْ أَحْيَا
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّابِّ النَّادِي لِطَيْبَتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلْمِ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاهُ ، وَأَنَّى فِي مَحَبَّتِهِ

عَرَّجَ أَنْبَتُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أُجِدُّ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوَدَّه آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهِدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

إِلَّا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ

وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة (١)

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشترار في المطالب . ومحبة التصاحب والمعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسرّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد (٢)

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحن لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماٌ ظليلةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإني لمأوى غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجِلْدَةُ بَيْنِ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ وقال : إن ابني سالمًا ، ليحب الله حبًا لو لم يخفه ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن إيمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان علقمةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ ألقه فيه حتى اشتريتُ له شيكوةً
وبدأني .

وقال زيد بن عليٍّ لابنه : يا بُنَيَّ ، إنَّ الله لم يرصك لي فأوصاك بي ، ورضيتني لك فحذرتنيك ، واعلم أنَّ خيرَ الآباء للآبناء من لم يدعه التَّدليلُ إلى التفريط ، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يدعه التَّقصيرُ إلى العُقوق .

وفي الحديث المرفوع : « ریحُ الولدِ من ریحِ الجنَّةِ » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ريحانِ الله .

وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما بُشِّرَ بِفاطمة : « رِيحانةُ أشمها ورزوها على الله » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاويةَ وبين يديه بنته عائشةُ . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ القلب . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهنَّ كَيْلِدُنَ الأعداءِ ، وَيُفَرِّقُنَ البُعْداءِ ، ويورثنَ الضَّعائِنَ .

فقال له معاوية : لا تقتلِ ذاكِ يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ المرضيُّ ، ولا نَدَبَ الموتى ، ولا أعان على الأحزانِ مثلهنَّ . وربَّ ابنِ أختٍ قد تقع خالهُ .

وقال المعلِّ الطائِي :

لَوْلَا بُنَيَّاتِ كَزُغَبِ القَطَا يَرُدُّدَنَّ مِنْ بَعْضِ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَبِينُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ

وكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الحُسَيْنَ بنَ عليٍّ رضى اللهُ

عنهما وتقول :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ
أَيْسَ شَبِيهَا يَعْلى

وكان الزُّبيرُ بين العوامِ يرْقُصُ عُرْوَةَ ابنه ويقول :
أبيضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيْقٍ مُبَارِكٌ مِنْ وَلَدِ الصِّدِّيقِ
الثَّوْدَةُ كَمَا أَلَدُّ رَبِي

وقال أعرابيُّ يرْقُصَ وَلَدَهُ :

أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ الثَّمَّاسِ وَخِفَّةَ مِنْ رَأْسِهِ فِي رَأْسِي
وقال عبد الملك : أضرُّ بنا في الولدِ حُبُّنا له ، فلم نُؤدِّبْهُ ، وكان الوليدَ أدباً (١) .

* * *

حَبُّ الأَيَّامِ وَالْيَتَامَى

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعرَ توجَّهَ إلى الثَّغرِ ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حَكَمَ ، لقد أهملتنا حتى كَلَبَ العدوُّ علينا فأَيْمَنَّا
وأَيْمَنَّا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنتُ مُقْبِلَةً من البادية في رِفقَةٍ ، فخرجت علينا خَيْلُ
عَدُوٍّ فقتلت وأسرت ، فصنعَ قصيدته التي أولها :

تَمَكَّمْتُ فِي وادِي الْحِجَارَةِ مُسْنِدًا أَرَأَيْ نَجُومًا مَا يَرِينُ تَغْيِيرًا
إِلَيْكَ أبا العاصي نضيتُ مطيَّتي نسير بهم ساريا ومهجرا
تداركُ نساءَ العالمينَ بُنْصَرَةً فإنك أحرى أن تُغيثَ وتَنْصُرَا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوفَ الثَّغرِ واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنفَ ونادى في الحين بالجهادِ والاستعداد ، فخرج بعد ثلاثٍ إلى وادي الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أيِّ أرضِ العدوِّ كانت ؟ فأعلمَ بذلك ، فنزا
تلك الناحية ، وأتمخَّنَ فيها ، وفتح الحصون والديارَ ، وقتل من العدوِّ عدداً كثيراً . وجاء
إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسرَ له أحدٌ في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكمُ ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدورَ ، وأنكى العدوَّ ، وأغاث الملهوفَ ، فأغاثه الله وأعزَّ نصره .

فارتاح لتولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
ألم ترَ يا عباسُ أتَّى أجبتُها على البُعْدِ أفتادَ الحميسَ المظفراً
فأدركتُ أوطاراً . وأبردتُ غلَّةً ونفستُ مَكْرُوباً وأغنيتُ مُعسِراً
فقبل عباسُ يده وقال : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب (١)

قول لسان الدين الخطيب :

أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشقُّ إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :

تسألني : من أنت ؟ وهى عليمةٌ وهل بفتى مثلى على حاله نكروُ
فقات كما شاءت وشاء لها الهوى قتيالك ، قالت : أيهم فهم أكثر ؟

وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة » .

ثم قال المؤلف : « وهذه حكيم تجرى مجرى الأمثال : المحبةُ بحوِّ بعيد الشطِّ ، والفناء مُنتهى الخطِّ . المحبةُ مهوى من بعيد ، ومجالٌ وعدٌ ووعيد .

المحبةُ ظهرٌ لا يركبه من يرى الموت فيتكبه . كم قصصت المحبة من ظهر ، وكم سير صوتٌ إلى قهر .

حجة بالغة

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجُنْ دَارَنَا
قُلْتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ . . . زَائِرًا
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ حَادٍ بِنَا
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا
قلتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَيْنِ بَيْنَنَا
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا
قالتُ : فَحَوَّلِي إِخْوَةَ سُبُهَةَ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتِنَا حُجَّةً
قالتُ : فَإِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرٌ
وَلَا يُبْلِمُ الزَّائِرَ الْحَاضِرُ
قُلْتُ : فَسَيْفِي مَرْهَفٌ بَاتِرٌ
قُلْتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرٌ
قُلْتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرٌ
قُلْتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرٌ
قُلْتُ : فَإِنِّي كَلْبُهُمْ حَازِرٌ
قُلْتُ : إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
لَيْلَةٌ لَا نَأَى وَلَا أَمْرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة (1)

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال المبرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان ممّا قال في تلك الخطبة : « أمّا بعد ، فإنّ محمداً ممن لا يوازن به فتي من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قليل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله المبرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إنّ عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه في مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرية لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كفوّاً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستخياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها

فقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، لو انفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .
وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصدق الأمين . وقد سمعت خديجة وهي سيدة من نساء العرب به ، ورغبت في أن يتجر بما لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصنحبه خادمها « ميسرة » . . . الذي شاهد باشاهد من طيب الخلال ، والصدق في الأموال ، والإخلاص في الأعمال . وقصّ الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آنت في سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرأ راضياً . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلةً ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتكبره بحمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينما كان يتحدث في غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجاب النبي : ما أنا بقارىء . فضمّه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفي الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زهوانى » وسرد عليها روايته ، فهذأت روعه بمد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لن يجزيك الله أبداً .

إنك تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتثوى الضعفاء والمساكين . ثم رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذى ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتى بلغ الأربعين ، معاشرة كلهاً الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرافع المكانة . فتقول : « كل شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء » ، فهو صاحب الأمر والنهي . . . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكي واللب الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكم حزن عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قط . فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أولم أكن يارسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغير وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحد ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معافراً ، وملأت على أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبّه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الولود الودود من النساء ، فإنى مكاتر بكم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبى امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بسكراً كثيب ، أو ثيباً كيبكر ، حلوة من قريب ، نغمة من بعيد ، كانت في نعمة وأصابتها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كئنا أهل دنيا وإذا افترقنا كئنا أهل آخرة .

السيدة سكيئة بنت الحسين

كانت سكيئة بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمعه إلا الإذعان لأمر سكيئان . ولاعتبار ضمف إرادته باتصاله بغيرها من الجوارى صارت طالقة . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرة السكيئية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدى ذهبت نحو سقاء الماء أهترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لئار على الأحشاء تتقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قلت وأبتئتها سرى وبخت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هوالك وما ألقى على بصرى

والسيدة سكيئة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الزباب بنت امرئ القيس الكلبية . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميها زبراء ، قالت : أسميها باسم إحدى أمهاتى ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

(١) ابن خلكان ج ١ .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أخي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيما ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نفرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعُهُ خابَ البقيع وخاب فيه الزارعُ

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا ينيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبت ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بمضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرونا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتُك ؟ قال تجديني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأديبة فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أختك ناسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم أمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شبّب الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

نَفَاكَ الْأَعْرَابُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تَنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سكينه بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعبت في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :

يَقْمُدَنَّ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَةٌ وَيَطْفُنَّ أحيانًا على قَتَرِ

حَتَّى اسْتَلَمَنَّ الرُّكْنَ فِي أَنْفِ مَنْ لَيْلِيهِمْ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ

فَفَرَّغْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعًا لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سكينه - رضى الله عنها - على جانب وافر من الخلال الطيبة فوق ما امتازت به من كريم الحمد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة . فأحبها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكنه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ، والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلّقتها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ طَلَّقِ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرْمٍ تَطَلَّقُ

لَهَا خُلُقٌ سَمِيحٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخَلَقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمُصَدِّقٌ

أَعَاتِكُ ، لَا أُنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوُوقُ

أعانتك لا أنساك ما حجج ركبك وما لاح نجمك في السماء مُحلّقك
 أعانتك ، قلبي كل يوم وليلة إليك بما تخفي النفوس معلقك
 ولولا اتقاء الله في حقّ والدٍ وطاعته ما كان منا التفرّقك
 فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم
 في حصار الطائف فانتقض به جرحه فمات ، فقال لعائكة حين احتضير : لك حديقة من مالي
 ولا تزوجي . فقبلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعانتك ، قد طلقت عني بُصّة وراجعت للأمر الذي هو كائنك
 كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحٌ على الناس فيه ألفةٌ وتباينك
 وقد كان قلبي للتفرّق طائراً وقلبي لما قد قرب الله ساكنك
 أعانتك إنّي لا أرى فيك سقطة وإنك قد حلّت عليك المحاسنك
 وإنك ممّا زين الله أمره وليس لما قد زين الله شائرك

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبر ابني على سبع
 كيات^(١) فلما مات عبد الله ، قالت عائكة تربيته :

فُصِغَتْ بِخَيْرِ الدَّاسِ بَعْدَ نَبِيّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً
 فَكَلِمَتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَعْبَرَا
 مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنَوَّرَا
 فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَبَ وَأَوْحَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا
 إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسْنَةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا

ثمّ ما لبثت أن خطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إنى قد جملت على نفسي
 ما لا أقدر معه على التزويج . فقال : استفتى ابن أبى طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال
 ردّى عليهم ما أخذته منهم وتزوجى . فردّت الحديقة ، فنزّجها عمرُ . رضى الله عنه .

(١) يعنى بذلك جزاءه على ما أكتنز من الدنانير « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
 وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم . . . »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خديرها وقال :
فَأَلَيْتِ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِيفَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جَلْدِي أُغْبَرًا
فبَكَتْ ، فقال عمر : ما أردتَ إلا أن تُفْسِدَ علينا أهلَنَا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتِلَ عُمَرُ قالت :
وَفَجَعَنِي فَيْرُوزُ لِأَدْرٍ دَرُهُ بِأَبْيَضَ تَالِي الْقُرْآنِ مِنْبِي
رَوْوْفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا أَخِي ثِقَةٍ فِي النَّسَائِبَاتِ نَجِيبِ
مَتَى مَا يُقَلُّ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلَ فَعَلُهُ سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبِ
وقالت :

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَجِيبِ لَا تَمَلِّي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ
فَجَعَمَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمَقْدُمِ يَوْمَ الْهَيَاجِ وَالتَّنْذِيبِ (١)
عَصْمَةَ النَّاسِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الدَّمِ رَ وَغَيْثِ الْمُنْتَابِ وَالْمَحْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبَاسِ : مَوْتُوا قَدْ سَقَتُهُ الْمُنُونُ كَأْسُ شَعُوبِ

نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فزوجهما
الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتهانني عن الخروج إلى
الصلوة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنوا إمام الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عَجِيزَتَهَا بيده . وكانت عظيمة
المجيزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنَّ الله . وتركت الخروج ،
فقال لها الزُّبَيْرُ : مالكِ تركتِ الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسَدَ النَّاسُ أبا عبد الله .
فَقُتِلَ عَنْهَا ، فقالت :

غَدَرَ ابْنُ جَرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بِهَمَّةِ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدِ
يَا عَمْرُو لَوْ نَهَيْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا رَعِيشَ الْجَفَّانِ وَلَا الْيَدِ
شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

(١) إكثار الذب والدفع . وفي الأغاني التلبيب .

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت : إني أشفقُ عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر ففرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،
فقلت :

لَئِنْ تَقْتُلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمَحْمَدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْحَمْرِ (١)
فتزوجها عمرو بن الماص .

وروي أن عبيد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :
لا تدعهنَّ يخرجنَّ فيتخذنه دغلاً . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم ثم تقول : لا تدعهنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عائكة بنت زيد بن عمرو بن ثقيف عند الزبير بن العوام رضي الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى المسجد ، فشقَّ عليه ذلك وكره أن يمنعها . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرَّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فسكرت راجمة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تسبح ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر إلا يتزوج امرأة حتى يسألها عن « ثمانية وأربعة واثنين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنَّ عن هذا قلن : أربعة عشر . . . فيبئها هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لمتها ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثّل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثّل به تمثيلاً : إذا نكّل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنان فشديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجها إياها وصرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحِيّاً من سمن ، ونَحِيّاً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بوض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خلوف - فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلمُ مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعي الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاءكم نضب . فقَدِمَ الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباه ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإنّ أمّها ذهبت تقابل نساء ، وأمّا قولها أخي يراعي الشمس فإنّ أخاه في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماء كم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إنّ وعاءكم نضب فإنّ النحيتين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسوق الإبل ، فمجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أي حامضاً - فشرّب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدّم ، فنام .

فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سليني عمّا شئت . فقالت : ممّ تختليج شفتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : فممّ يختليج فخذاك ؟ فقال : لتورّكي إياك . قالت :- عليكم فشدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حبيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

أنحروا له جزوراً وأطعموه من كرمها وذنبا ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريبة ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لي على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ سرطقي عليك
في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عمّا شئت . فأرسلت إليه : ممَّ تختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشمشعات . قالت : فمِمَّ يختلج كسحاك ؟ قال : للبسي المحبرات . قالت :
فمِمَّ يختلج نغذاك ؟ قال : لركوبى المطهّات . قالت : هذا زوجي لعمري فعليكم به ، واقتلوا
العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التي أحبها حين رآها ، فأعجب بجمالها ، وسألها ، فسكان
جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبه له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أمّ عقبة ، وهي امرأة من بني يشكر - عند ابن عمّها لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنوا أجله أو قرب موته سألتها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبري بالذي تريدن بمدى والذي تضميرن يا أمّ عقبة
تحفظين من بمد موتي لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أمّ تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا في التراب في سجن غُربه
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجملته آخر حظي منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمّي تخاف من أمّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرما هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومرات أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو سر ، فارعى لي حقَّ حُسن الوفاء
إنني قدر جوت أن تحفظي المهـ د ، فكوني إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي (١)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأسمعي ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ أنه ، فتخامها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذي جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القري و زادت فيه .
فلما كان اليوم الثاني بعثت بعض جواريتها متنكراً في زيِّ سائلة ، تتمرّض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عابها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه في شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَلَّا سَأَلْتِ بَيْنِي نَبْهَانَ مَا حَسْبِي عند الطعانِ إذا ما احمرَّتِ الحدقُ
وجاءت الخليل مُحمّراً بوادرها بالماء يسفح عن لَبَّاتِهَا المَلَقُ

(١) في أمالي الزباجي .

والخيلُ تعلمُ أنى كدتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ العَدِقُ
هذا النناء ، فإن ترَضَى فراضيةً أو تسخَطى فإلى من تعطفُ العُنُقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حَاجَتِي فِيمَنْ قَضَاهَا
فما وطىُّ الحصا مثل ابنِ سَعْدَى ولالْبَسِ النَعَالَ وَلَا احْتِذَاهَا
وأنا الذى عُمَّتْ عَقِيْقَتَهُ فَأَعْتَقْتَ عَنْ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْهَا نَسْمَةً ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فإن تنكحني ماوية انخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همهُ فكأكَ أُسِيرٍ أَوْ مَعُونَةٍ غَلامِ
وإن تنكحني زيدا ففارس قومه إذا الحربُ يوماً أقدمتْ كلَّ قائمِـ
وإن تنكحني تنكحني غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرفَ العشيِّرةِ هادمِـ
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سَمَّرتْ بأنفسها نفسى كفعلِ الأشايمِـ
وإن طارقُ الأضيافِ لآذَ برحلهِ وجدتِ ابنِ سَعْدَى لِلْقَرَى غيرَ عاتمِـ^(١)
فأبى هُدَىً أهدى لك الله فأقبلِ فإنَّا كرامٍ من رؤوس الأكارمِـ
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنبُ والهجرُ وقد جَدَرْتَنِي فِي طَلَابِكُمُ الْمُدْرُ
أماوى إما مانعٌ فمبِينٌ وإمّا عطالاً لا يُنْهِنُهُمُ الرَّجْرُ
أماوى ما يعنى التراءى عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصِّبْدُرُ
وقد علم الأقبامُ لو أن حاتمًا أراد تراءى المال كان له وَفْرُ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الجرة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهم شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فممرضى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتكَ نفسى !

(١) أى : غير مبطل .

حَبِّ سَحِيمٍ لِعَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ

قال أبو الحسن على المدائني :

تَرْوِّجُ سَحِيمَ بْنَ حَفْصٍ - بِعَائِشَةَ ابْنَةَ طَلْحَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ أَبُو عَدْرِتِهَا
فَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا ، مِنْهُمْ طَلْحَةُ الَّذِي يَقُولُ لَهُ الشَّاعِرُ :

أَيَا طَلْحَ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَحِفُّ الصَّفَارَا
فَمَا كَانَ نَفْعَكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارًا
أَبُوكَ الَّذِي بَايَعَ الْمُصَنِّقِي وَسَارَ مَعَ الْهَيْتِيِّ حَيْثُ سَارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقِهَا زَعَارَةٌ ، وكان يلقى
منها البلاء ، فقليل له : طَلَّقَهَا ، فقال :

وَإِنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتِ أَوْدُهُمْ لَهْمُ زُلْفَةٍ عِنْدِي لِإِحْدَى الْعِظَامِ
فَكَيْفَ بَصَنُوا الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمْ وَسُخِّطُهُمْ يَوْمًا . . . عَنِ الْأَنْفِ خَاطِمِي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوجته فهو عليّ كظهر أسي . ثم سألت أهل
المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوجيه . فتزوجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة
ألف . فقال أنسُ بنُ أبي أنسِ بنِ زَنِيمِ :

تَعطَى الْفَتَاةَ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبِيَّتْ سَادَاتِ الْجَنُودِ جِياعًا
لَوْ فِي أَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مِثْلَ الَّذِي وَأَبُشُهُ مَا قَدْ أَرَى لَارْتَاعًا
فبَلِّغِ الشَّعْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ فَقَالَ : إِنَّ مِصْعَبًا قَدِمَ خَيْرَهُ .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟
قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ وتزوجها فأحبها ، وكانت
امرأة جميلة في أذنِهَا عِظْمٌ ، وفي ساقِهَا حَمُوشَةٌ^(١) . وقال قوم : في قدمِهَا عِظْمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

وروى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترًا فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهًا ، فأعرضت وخلائي ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالمشي وهو جالس ، فأشار إليّ بيده وقال : رأيت ذلك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلى لذن طرُّشاربي إلى اليوم أخفى حبَّها فأباين^(١)
وأحملُ في ليلى لقلبي ضغينةً وتُحملُ في ليلى على الضنائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لابن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوبًا . فقتل عنها مصعب . وأبنا الحسن قال : قال سلم بن قتبية : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فسكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان بيديها . وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فهاكادت أن تستقل حتى خذلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنَّ أبك لتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشراقها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة (٢)

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالًا وتعامًا ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الركب أن الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبرًا ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتًا وصياحًا عاليًا على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيهقي لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليله ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقفته وهي تتشوف له فوجدها سليمة ومعهما أختاهما : رضية وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تشكى الكُمَيْتُ الجُرَى لما جهدته . وبين لو يستطيع أن يتكلمًا
فقلت له : إن ألقَ للمين قرَّةً . فهان على أن تكلَّ وتسامًا
لذلك أدنى دون خيلى رباطه . وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي . لئن لم أقل قرنًا إن الله سلما

فقال مسلمةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مسلمة : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال . خيف من أهلها وماقى الرِّحالِ
ياسليان إن تلاق الثريا . تلقَ عيشَ الخلود قبل الهلالِ
دُرَّةٌ من عقائل البحر بكر . لم يشنها مُثاقبُ لآلى
تعقد المتر السخام من الحرِّ . على حقو بادنٍ مكسالِ

وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا ، أتاني النريض فقال لي : قل أبيات شعر أخ فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا . أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزيفة تسكين شجواً . فشجوك مثله أبكى العيوننا !

أبو الأسود الدؤلي وامرأته وابنيها

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامرأته في ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذهُ ،
فقاتلت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وثدي
سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى
فصاله ، وكَلَّتْ خِصَاله ، واستوكت أوصاله ، وأمَلْتُ نَفَمَه ، ورجوتُ دَفَمَه ، أراد أن
يأخذهُ مني كَرَهًا ، فأَنصِفني فقد أراد قَهري ، وحاول قَسْرِي .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتهُ قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه
في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمهُ حِلْمِي ، حتَّى يَكْمُلَ عَقْلُه ، وَيَسْتَكْمِلَ
نُبْلَه .

فقاتلت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خِفًا ، وحملته ثِقَلًا ، ووضعه شَهْوَةً ، ووضعتهُ
كَرْهًا .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهي أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجْمِكَ .

* * *

المجرد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب : تبعتُ جاريةً إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتني نبيذاً وغنت على عُودها
بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أنفَدَ إلى القلب :

كَأَنِّي بِالْمَجْرَدِ قَدْتُ عِلَّتَهُ . . . نِمَالُ الْقَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِي

فقلت لها : جُعِلْتُ فدائكِ ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه مما يُعَنِّي به . قالت : أنا أولُ
من تُعَنِّي به ، وإنما هو بيتٌ لا يدري قائله ومعه بيتٌ آخر .

قلتُ : سرّيني بأن تمنّيه لعلّي أفهم . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتفنى به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتُ وجاءت المشاء الأخيرة ،
وضعتُ عودها ، فقامتُ فصلّيتُ وما أدري كم صلّيتُ عجلةً وتشوّقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي جُعلتُ فدائك في الدنوِّ منك ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ منّا . ثمّ ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدت أن أسقّ ثيابي من العجلة للخروج منها ، ولما قمت بين يديها متجرّداً . قالت :
انتبه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردت
اجتياز حصير في الغرفة ، فما كدت أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحته ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كئنا في ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلما هبطت عليهما
بادراني فقطعاً نعالهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركوهم في ضربتي حتّى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أخطبُ بنعالٍ مخصّوفةٍ ، وأيدٍ مقلّ ، وخشبٍ دقاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يغسّي :

كأني بالمجرّد قد علته نعالُ القوم أو خشبُ السوّاري
ولو علّم المجرّد ما أردنا لبادرنا المجرّد في الصحاري

الشعراء العشاق

جميل بثينة (1)

إنَّه لَمَـلُومٌ أَن بُـثِـنَـةً مَحَبُوبَةً جَمِيلَ قَائِدِ الشَّعْرِ، وَقَدْ نَسِبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِنِسَاءِ مَخْصُوصَةٍ، وَاشْتَهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَنْ تَفَزَّلَ بِهَا، فَاشْتَهَرَ جَمِيلُ بِبُثِينَةَ، وَاشْتَهَرَ كَثِيرٌ بِعِزَّةٍ، وَعُرُوءِ ابْنِ حِزَامٍ بِعَمْرَاءٍ، وَقَيْسُ مَجْنُونِ بْنِ عَامِرِ بَلْبَلِيٍّ، وَقَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِلَبْنِيٍّ، وَالْمُرْقُشُ بِفَاطِمَةَ، وَذُو الرِّمَّةُ بِمَيْمَةَ وَهِيَ الْخُرْقَاءُ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ بِفُورٍ.

وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ لَا يَلْتَزِمُ التَّنَزُّلَ بِامْرَأَةٍ مَخْصُوصَةٍ كَأَمْرِئِ الْقَيْسِ .
وَبُثِينَةُ مَصْغَرٌ . بُثْنَةٌ - قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : الْبُثْنَةُ - بِالتَّسْكِينِ : الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ ، وَبِتَصْغِيرِهَا سَمِّيَتْ : بُثِينَةً .

أَمَّا قِصَّةُ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَدْرِيِّ ، فَقَدْ رَوَى صَاحِبُ « الْأَغَانِي » بِسَنَدِهِ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ جَمِيلٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ رَهْطِهِ يَتَحَدَّثُونَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا لَلَّهِ حَدَّثْنَا بِأَعْجَبِ يَوْمٍ لَكَ مَعَ بُثِينَةَ . قَالَ : نَعَمْ . مُنِمَّتْ مِنْ لِقَائِي مَدَّةً ، وَتَعَرَّضْتُ لَهَا جَهْدِي فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهَا ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ جَالِسٌ بَيْنَ شَجَرَاتٍ بِالْقُرْبِ مِنْ حَيْهَا ، وَقَدْ أَقْمْتُ ثَلَاثًا أَنْتَظَرُهَا ، إِذَا شَخْصٌ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ وَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ غَشِيَنِي الشَّخْصُ ، فَاذًا هِيَ بُثِينَةُ قَدْ أَكْبَتَتْ عَلَيَّ . فَأَدْهَشَنِي ذَلِكَ ، وَبَقِيْتُ مَتَحِيرًا لَا أَحْبِرُ جَوَابًا إِلَيْهَا ، وَلَا أَرَا جَمْعًا كَلِمَةً حَتَّى بَرَقَ الصَّبْحُ ، وَمَا اسْتَطَمْتُ أَنْ أَكَلِّمَهَا .

قَالُوا : فَهَلْ قَلَّتْ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَهُمْ قَصِيدَةَ طَوِيلَةَ . .

وهذه أبيات من أولها :

أَهَاجَكَ أُمُّ لَا بِالتَّنَاضُبِ مَرَّيْعُ وَرَسْمٌ بِأَحْرَاجِ الْغَدِيرَيْنِ ، بَلْقَعُ

ديارُ الليلِ (١) . . إذ نُحِلُّ بها مَاءً وإذ نحن منها في الموتة نَطْمَعُ
 فياربِّ حَبِيبِي إليها ، وأعْطِي الـ مودَّةَ منها ، أنت تعطى وَتَمْنَعُ
 وإلا . . فصبّرني وإن كنت كارهاً فأني بها إذا العارج مَوَاعُ
 فإن يكَ قد شطت نواها وقد نأت فإنَّ القوسى مما تُشِيتَ وتجمَعُ
 جزعتُ غداةَ البين لما تحمّلوا وما كان مثلى يا بَشِينَةُ يَجْزَعُ
 تتمعتُ منها يومَ بانوا بنظرةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يَتَمَتَّعُ ؟

وروى صاحب الأغانى عن الهيثم أن جميلًا طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بثبينة خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلًا ، وأخبرها بحاله بمدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجا عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقياه بالهرب . وناشدته بثبينة بالانصراف وقالت : إن أمت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمختلف الأرواح بين سُوَيْقَةٍ وأحْدَبَ (٢) كادت بعد عهدك تخلق (٣)
 أضرت بها النكباء (٤) كل عشيّة ونفح الصبا (٥) والوايل (٦) المتبعق (٧)
 وقفت بها حتى تحلت عمائتي (٨) وملّ الوقوف الأرحب (٩) المنوق (١٠)

(١) لا يخفى أن جيلا ينسب بثبينة . ولما ذكرها باسم ليلى جريا على عادة الشعراء فى إخفاء أسماء معشوقاتهم أحيانا .

(٢) سويقة وأحذب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) نفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوايل : المطر العظيم . (٧) المتبعق : المطر العظيم .

(٨) عمائى : يفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحب : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل لخل ، وقيل لموضع . (١٠) المنوق : المذلل كالناقة .

وقال خليلي : إنَّ ذا لَصَبَابَةٌ ألا تزجرُ القلب اللجوج فيلحق
تَعَزَّ وإن كانت عليك كريمةٌ لعلك من أسباب^(١) بثنة تُعتقُ
فقلت له : إنَّ البُعَادَ يشوقني وبعض بعادِ البين والنأي أشوقُ

كثير عزة

من « بلاغات النساء »^(٢) ماحدثني الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس السعديُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن ياتي من يمحج من قريش في كل سنة بهدية ، ففعل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلبة جملاً ، واستقبل الشمس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتى احترق وضجر وجاء وقد راح الناس ، إلا فتى من قريش تخلف ومعه راحلة له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإني لجالس إذ أقبل كثيرٌ فجلس إلى جنبي ولم يُسلم . ثم جاءت امرأة جميلةٌ وسيمةٌ ، فاستندت إلى خيمةٍ من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

و كنت إذا ماجئتُ أجلن مجلسي وأعرضن عني هيةً لا تجهما

قال : نعم . فتأملت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هية ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثيرٌ : من أنت ؟ واحتدّ عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم من أنت لقطعتك وقطعت قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أنت الذي تقول :

متى تنشروا عني العامة تبصروا جميل الحيا أغفلته الدواهن ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لعلك من أسباب بثنة . روى بدله : لعلك من رق لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجّر كثير ، وسكّمت عنه حتّى سكن . ثمّ قالت : أنت الذى يقول :
يروق العيون الناظرات كأنّه هِرْقَلِيٌّ وِزْنِ أَحْمَرِ التَّبْرِ وَاِزْنُ
أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
فازداد ضجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعنك وقومك ، وقام . فالنفت فإذا هي قد ذهبت .
قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
لك علىّ إن أخبرتنى من هي أن أطوى لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزّهما ذهباً ما أخبرتك من هي . هذا كثير -
وهو مولاى - قد آيت أن أخبره من هي .
قال القرشى : فرحت وبى أشدّ مما بكثيراً .

عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقاً لمحاسنهن ، والتشبيب
بهن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تقضى الليلُ إلّا أقلهُ وكادت توالى نجمه تنغورُ
أشارت بأن الحىّ قد حان منهم هبوب ولكن موعدك عزورُ
فلما رأت من قد تنبه منهم وأيقاظهم قالت : أيسر كيف تأمرُ ؟
فقلت : أباديهم فإمّا أفوسهم وإمّا ينال السيف ثأراً فيثأرُ
فقلت : أنحقيقاً لما قال كاشحُ علينا ، وتصديقا لما كان يؤثرُ
فإن كان مالا بُدّ منه فغيره من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ
أقصّ على أختي بدء حديثنا ومالى من أن تعلمنا متأخرُ

(١) فى خزنة الأدب ج ٣ .

لما هما أن تبغيا لك مخرجاً وأن ترحباً سدرًا بما كنت أحصرُ
فقال لأختيها : أعينا على فتى أتى زائراً والأمر للأمر يُقدَرُ
فأقبلتا ، فارتاعتا . . ثمَّ قالتا : أقلِّ عليكِ اللومَ فالخطبُ أيسرُ
يقومُ فيممشى بيننا متنكراً فلا سرُّنا يَفْشُو . ولا هوَ يُبصرُ
فكان بجَنِّي دونَ مَنْ كنت أتقى ثلاثِ شخصٍ : كاعبانٍ وممصرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

ألا حبيباً ليلى أجد رحيلي وأذن أصحابي غداً بقفولِ
تبدت له ليلى ليذهب عقله وشاقتك أم الصلتِ بمد دُهلِ
أريد لأنسى ذكرها وكأنما تمثّل لي ليلى بكلِّ سبيلِ
إذا ذكرت ليلى تنشئتك عبّرةً تملّ بها العينانِ بمد نُهولِ
وكم من خليلٍ قال لي : هل سألتها ؟ فقلتُ : نعم ، كيلى أضلُّ خليلِ
وأبعده ليلاً ، وأوشكه قلى وإن سئلت عُرُفاً فشرُّ مَسولِ
لقد كذب الواشون ما بُحْتُ عندهم بليلي ، ولا أرسلتهم برسولِ
فإن حاول الواشون عني بكذبِة فروها ، ولم يأتوا لها بحويلِ
فلا تمجلى يا كليلُ أن تنهَمي بنصحِ أتى الواشونَ أم بحبولِ
فإن تبدلي لي منك يوماً مودةً فقدماً تحذتُ الفرضَ عند بدولِ
وإن تبخلى يا كليلُ عني فإنني توَكَّلتُ نفسي بكلِّ بخيلِ
ولست براضٍ من خليلي بنائلِ قليلِ ، ولا أرضى له بقليلِ

وليس خليلي بالمولود ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديمُ وصالته
ولم أرَ من كَيْلَى نوالاً أعدّه
يلومك في كَيْلَى وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك كَيْلَى وَلَا تَهَيِّمُ
فا انتفعت نفسى بما أمروا به
وقالوا : نأت فاخترت من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
ومازلت من كَيْلَى لدن طرّ شاربي

إذا غيبتُ عنه باعنى -
ويحفظُ سرّى عند كلِّ
ألا ربّما طالبت غير
رجالٍ ، ولم تذهب لهم
بقاطعة الأقوان ذاتِ خلا
ولا عُجبتُ من أقوالهم
فقات : البكا أشقى إذن
أقاتلنى كَيْلَى بنير قَتِيل
ومال بنا الواشون كلِّ
إلى اليوم كالمقصى بكلِّ

حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بخصب أرضها - جبل يقال له :
وهو جبل معروف يملو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويملو الماء فيه .
يقال له « طامى » ويقال له أيضاً : ثور الماء ، لتفجر ثورانه من بين صخور وأ-
وقد ذكر البكرى أنّ ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك
ينى عليه الظلّ وارفأ جيللاً من نبات العرمض ، بخضرتة اليانعة ورأحتته الطيبة
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأته أنّ الشريعة همها
تيممت العين^(١) التي عند « ضارج »
وإنّه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنمها .
وأنّ البياض من قرائضها د
ينى عليه الظلّ عرّ مضها طامى

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامى : المرتفع الذى يملو نباته الماء .

ذو الرِّمَّةِ وميَّة

اشتهر ذو الرِّمَّة بحبِّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : ميَّة . وممَّا يؤثِّر عنه أنه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلَّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودَّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلُقُ حبال الرسائل
وأهلهٍ ودِّ فد تبريتُ ودَّهم وأبليتُهم في الحمد جهدي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد البرد . قال ثبتت الروايات والأخبار أن « ليلي الأخيلية^(١) » لم تكن امرأة
توبة بن الحخير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شائبك ، إلا أنهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبُّه ،
فأقاما على حبِّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السنَّةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف - فأحسُّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقًا ،
وبينه وبين الحى مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعًا قابضًا والمرهفاتُ تنوشُهُ ففبِحَتِّ مدعوا ، ولبيَّتِ داعيًا
فياليتَ عبد الله حلَّ مكانهُ فأودَى ، ولم أسمع لتوبة ناعيًا
ومن جيد ما تربيته به قولها :

فأقسمت ، أبكي بمد توبة هالكًا وأحفِلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ
لعمرك ما بالموت عازٌّ على المَتَى إذا لم تصبه في الحياة المَغَايرُ
فلا الحى ممَّا يحدث الدهر سالمٌ ولا الميتُ إن لم يصبر الحى ناسرُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بليّ وكلّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدنكَ اللهُ توبةَ هالكٍ أنا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا إنفكُ أبكيك مادعتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكي بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضمّر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنّ الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتناً تذكر يوسف » أى : لا تفتناً تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فمئسروا - أى . أحيام فمئسروا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ مئيتاً إلى نحرها عاشَ ولمْ يُنقل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجيباً للميتِ النَّاسِرِ

ومن أغرب ما روى فى (الصّدَى) ما رواه أبو على من أن ليلى الأخيلية مرّت مع زوجها فى بعض نجهم بالوضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمتُ على ، ودونى جندلٍ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أو زقاً إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقال له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فمدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قانظ ، فأمّا دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، ففطرت راحلتها ووقمت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالمنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالحجر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمِي تَرَوِّي عِظَامِي فِي الْمَهْتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مَتَّ إِلَّا أَذُوقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالحجر ، وزار قبره ذاكرة له فإذا هو عليه عريش ،
فتمعجب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لئمة ، فأكثرت له من
الدعاء . فقال : خفف عليك أبا العباس ، فليس ذلك لئمة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حلف الظريف بقطعه يده إن مسّ من يهواه بالألم
حتى إذا ضاق الفضاء به جعل الفصّاد تحلّة القسم
قلت : حسن أيها الأمير . فأسببه؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألّمت لما نالها من الألم ، فخلعت بقطع يدي ، فأنتيت بالفصد ، فعات . وأنشدنا الأخصش
لأبي نواس :

ما بال قلبك لا يقرُّ خُفوقاً وأراك ترعى النّجمَ والعشوقاً
وجفون عينك قد نثرن من البكا فوق الدامع تولوا وعقيقاً
لو لم يكن إنسان عينك ساجحاً في بحر دمهته لمت غريقاً

بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعث بها فأنشأ يقول :

خنساء خنساء وحتّى متى يرتفعُ الناسُ وتَنَحَّطُ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خييطُ
فقلت خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بي بَحْرُ هَوَى ليس له شَطّ
يدركُك الوصلُ فتَنجِبُو به أو يقع الهجر فتَنَحَّطُ

حب زينب بنت إسحاق النصراني

من فوائد الرضى الشاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام النوى رضى الله عن أبيه عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشاطبي
لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحاولُ ذكرهم بسوء ولكنني محبّ لها هم
وما يتريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصاريّ تحبهم وأهل النهى من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حبهم سرى في قلوب الخلق حتّى البهائم

التائب من الحب

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوكٍ مليحُ الوجه ، رضى الخُلُق ، حاد الذكاء . فَخَلَوْتُ بِهِ يَوْمًا ، وداعبتهُ بعبارات تُنسيُّ عن شِدَّةِ شغفي به ، فقال لي : حذار أن تعود لئلا هذا الكلام ، فليجُدُران آذانُ ، وربُّ عثرةٍ لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع الكتمان ، فاكتب لي ما تحبُّ أن تقوله في ورقةٍ فتكون في أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكَّن الطمع مني ، وكتبت في ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ به الْوَرَى صِلْ هائِمًا قد ظلَّ فيك مُحَيَّرًا
وامننْ علىِّ بساعةٍ في خلوِّةٍ إن كنتَ تطمَعُ في الهوى أن تُوجِرًا
وكتبت تحت البيتين كلامًا كثيرًا في هذا المعنى ، ثم دفت إليه الورقة خلسةً .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إليَّ في غيرها : إنك لَتَمَلِّمُ أُنَّى من بيت عريق
في التَّقْوَى . وسأبقى عندي خطك شاهدًا على ما فرطَ منك ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَطْلَمَنَّ
عليها أبا وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .
أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحدًا أبدًا .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعتُ فيه ، وجعلتُ أرغبُ إليه في أن يرُدَّ الرُّقْمَةَ
إليَّ ، فأبى وقال :

هي عندي رهن على وفائك بألا ترجع إلي التكلّم في ذلك الشأن .
ولم يسمعي إلا أن امتثلت ، لأنّي رأيت صيانتي وناموسى في يده ، وتبت عن مثل هذه
المداعبات .

(١) في نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طبيّتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يُكلّفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحدٍ ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائله قلائده :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى
دمعان في الأجنان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودعين ، وليس لي قلبان

وقوله من أخرى :

قلت للعين حين شامت جبالاً
من بروق كواذب الإياض
لا يفرّئك هذه الأوجه العرّ
فيارب حية في رياض

وقوله من أخرى أيضاً :

خليليّ عهدى بالليالي صوافياً
فأناهيّ عيشي علىّ فأني
ولا تحسباً عيشي علىّ فأني
ولست أحبّ الضوء إلا لوجهها
لسار فؤادي في طريق فؤادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
نفدت وحقّ الله قبل نفاذها
خليليّ هل أبصرتها مثل أدمي

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أغان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسَلِّمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : سئل النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أئىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسرهُ إذا نَظَرَ ، ولا تَمصيه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النَّظْرُ إِلَى المرأةِ الحسنةِ يزيدُ فى البصر » ولله درُّ أبي نواس إذ يقول :

يزيدُك وجههُ حُسْنًا إذا ما زدتهُ نَظْرًا

وقال شاعر آخر :

ويُصبحُ من سِوَاكَ الفِعلُ عندي فتفعلهُ فيحسنُ منك ذاكَا

وقال غيره :

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ جاءت محاسنهُ بألفِ شَفِيعِ

أعرابي يصف امرأة

قال العُتْبِيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَمَدَةٌ ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشاشَةً كَتَفَيْهَا ، وحَلَمَةٌ تُدَمِيهَا ، ورضقَ ركبَتَيْهَا ، وجانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وأنشد :

أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لَمَمِصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وإذا الرِّيحُ مع العِشْيِ تناوَحَتْ بَهْنِ حاسِدةً ، وهِجَنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فُلانَةَ حَظِّي من أَمَلِي ، ولرُبَّ يومٍ سرتهُ إليها حتى قبضَ اللَّيْلُ بصرى دونها ، وإنَّ من كلامِ النساءِ ما يقوم مقامُ الماءِ فيشفي الظَّمَاءَ .

(١) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمس بهت بها الأرض شمس سمائها ، وليس لي شفيح في أفئذها ، وإن نفسي تسكتوم ليدائها ، ولكنّها تفيض عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمس أرضيها التي تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سمائها
شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحب في القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئاً أحبها ، وإلا فلا . كان الرجل إذا أحب امرأة ، ظلّ حولاً يطوفُ بدارها ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكياً وتناشداً الأشعار ، وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويمدّها وتمدّه ، فإذا اجتمعوا لم يشكوا حباً ولم يُشيدا شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعة الحب وكتمانته وصبره على من يحبه ولا يطيق سلوانه :

شكوت فقلت : كل هذا تبرماً يحبي ، أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قلت : لشد ما صبرت ، وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا رضاها ، فتتمتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها وتجزع من بعدي ، وتنفر من قربي
فياقوم هل من حيلة تعلمونها ؟ أشير وأبها ، واستوجبوا الشكر من ربّي

الوصف بعد المشاهدة (١)

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكليم في نظم الشعر ، واتخذ لنفسه طرائق سهلة ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسّ به ، واستساغها ، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقربّه إلى الفهم ، حتى يتذوق أنعامه المستمع شراباً

(١) في خاص الخاص للتحالي .

عذباً ساسبيلاً ، ويملاً به المحزونُ صدرَه نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أفرّب من فيه

الوردُ : قد أينع فى وجنتى قلتُ : فمى باللثم يجنيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك

لا تجفه وارع له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

وليت نفسى تقسمت ستمك

ياليت عيني تحملت ألمك

عرفك أجرت من ناظري دمك

وليت كف الطيب إذ فصدت

تميره إن لثمت من لثمك

أعرتة صبغ وجنتيك كما

فألحظ به العرق واغتنم ألمك

طرفك أمضى من حد مبضعه

وقوله من قصيدة أولها :

وكيف طبق وجه الأرض صديبه

من أين للعارض السارى تلهبه

أم استمار فؤادى فهو يدهبه

هل استمان جفونى فهى تنجده

ومنها :

لولا التجمل ما أنفك أندبه

بجانب السكرم من بعداد لي قمره

دياره ، وأرانى لست أصحابه

وصاحب ما صحبت الدهر مندبعت

من ذكره ولقلى ما يدبه

فى كل يوم ليمنى ما يورقها

ولا الفراق شجانى ، بل تجده

وما البعاد دهانى ، بل خلايقه

وله أيضاً :

فقلتُ : ولكن مطلب الرزق ضيق

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع

ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

إذا لم يكن فى الأرض حرر يميدنى

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١)

قال أبو الحسن الأخفش: من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء، وإن كان شعرا ضعيفاً، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، وقد سأله وصف النساء:

مَعَى تُلُقَ بِنْتَ «العشر» قَدْ نُصِّدَتْ بِهَا	كُلُوؤَةٌ الْغَوَاصِ يَهْتَرُ جِيْدُهَا
تَجِدُ لَدَّةً مِنْهَا نَخَقَةٌ رُوْحَهَا	وَعُرِّيَّتَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا
وَصَاحِبَةَ «العشرين»: لَا شَيْءَ مِثْلَهَا	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوُ بِهَا وَتُرِيدُهَا
وَبِنْتُ «الثلاثين»: الشَّفَاءُ حَدِيثُهَا	هِيَ الْعَيْشُ مَا رَقَّتْ وَلَا دَقَّ عُودُهَا
وَإِنْ تُلُقَ بِنْتُ «الأربعين» فَغَيْبَةُ	وَخَيْرُ النِّسَاءِ: أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا
وَصَاحِبَةُ «الخمسين»: فِيهَا بَقِيَّةٌ	مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّدَاتِ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وَصَاحِبَةُ «الستين» لَا خَيْرَ عِنْدَهَا	وَفِيهَا صَيَاغٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ «السبعين» إِنْ تُلْفِ مَهْرَسًا	عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
وَذَاتُ «الثمانين» الَّتِي قَدْ تَجَلَّتْ	مِنَ الْكِبَرِ الْفَاقِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ «التسعين» يَرْعَشُ رَأْسُهَا	وَبِاللَّيْلِ مَقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْآخَرَى، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ	وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَيْدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢)

عُرف الشيخ سعيد السمان الدمشقي، بحبِّ الجمال، وشغف بتصوير ما يعشق تصويراً حساساً، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير:

يَارُبَّ ظَنِي كَالِدَامِ حَدِيثُهُ	فَيْسِيْفُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
قَدْ خَلْتُهُ شَمْسَ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مَرَاةٌ حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا مَحْ فَسْكَاتُهَا	هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرُ فِيهَا يَلْعَبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عائنه وكأنه من لطفه راح تكادها الواحظُ تَشْرَبُ
بالعقل والشطرنج يلعب وهووفى فسطاط حُسن للسرة يجلبُ
يمكي الزمرّد خضرة فكأنما هي دارة والبدرُ فيها يلعبُ

المرأة والطيب (١)

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ نَضْحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومُ
الأترجة هنا : كناية عن المرأة شبهها بها في طيب رائحتها ، وما في لونها من الصفرة
وكانت العربُ تكره بياض اللون المفرطاً ، ولذلك كانوا يعيرون قول الأعشى :
ومن كلّ بيضاء رُعبوبة لها بشرٌ ناصع كاللبن
وكانوا يستحسنون قول ذى الرمة :
صفراء في نَعَجٍ بَيْضَاءَ فِي دَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

نتف الوجه بالخيط (٢)

قال الناظم : لما استقرّ بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفننا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فلما مضى شهرٌ وعشرون لمبرها وقالو : يجيء الآن قد حان حينها
أمرت من الكتمان خيطاً وأرسلت جرياً إلى أخرى قريباً تعينها

هذه امرأة تنتظر غيراً تقدّم وزوجها فيها ، فأرادت أن تنتف وجهها بالخيط وتمهّئ له .
والجري : الرسول . يقول : أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في نتف وجهها بالخيط للترشّن .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في المبنى ،

(٢) في أمالي الفاي ج ١ ص ١٩٨ .

(١) في الانتصاب ص ٣٨٢

فقال :

فما زال يُجْرِي السُّلْكُ في حَرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَيْهَا حَتَّى ثَنَّنَتْهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتَهُ : كَفَّتَهُ . وَقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ مَجْنُونٍ لَكَيْلَى لَزَوْجِهَا :
رَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَكَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَأَها ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَكَيْلَى رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي شَذَاها

تشبيه المرأة ببدر السماء

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّها بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّيْ
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أي : بدت مشبهة البدر ، وإذا تبدى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كأن من معنى الفعل . أي : برزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها ،
كأنها قد أرسلت تقابها . ودلَّ على هذا بقوله : كأنها بدر السماء إذا تبدى . وإنما فعلت ذلك
إمَّا للتشبيه بالإماء حتى تأمن السبأ ، أو لما تدأخلها من الرعب . ومثله قول الشاعر :
وَنِسْوَتِكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُها يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حِرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذكر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعمُّد والاجتهاد . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهن جميلة ، فهويها وهام بها عقله . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمِّ لها . فلما اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لي ، وقد اشتدَّ بلائي بك . فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلت لك أن تأتي إلى منزلي . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخلتين
« إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف ناراً لا يخبو سعيها ، ولا يحمد لهيها .

فلَمَّا أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون . ثم انخاضت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتمتع . وهي مع ذلك تذب وتلجج حباً للفتى وشوقاً إليه حتى مات من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ الْحَبَّةُ يَا سَوْلى مَحَبَّتِكُمْ حَبٌّ يَقودُ إلى خَيْرٍ وإِحسان

فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له فِي جَنَّةِ الخُلدِ مُلْكٍ أَيْسَ بالفَاني

فقال لها : اذكريني هناك ، فأثني لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأثينا عن قريب فترانا . فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبعة ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسعى القس من عبادته . فمر يوماً بجارية تغني ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فأقم في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحببك ، فقال : وأنا والله أحبب ذلك . قالت : فما يمدحك ؟ فإن الموضع نخال ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما يبني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرغان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة (١)

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عاتية ، وكان قد بلغه أنها تُعجَبُ
بغلام له اسمه « رشا » فأبغده ، وقيل قتلَهُ . ثم إنهما علقَت من بعده غلاماً آخر اسمه
« طَلَّ » فكانت تسكِّرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرتَه لَأَقْتُلَنَّكَ ،
فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » .
فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم
(طَلَّ) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فالذي نهى عنه أمير المؤمنين .
فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أختي » .

وقيل إنه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا سَرْحَةَ البُسْتَانِ طَالَ تَشْوِيقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلٌ ؟
مَتَى يَشْتَفِي مِن لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف وَرَّتْ « بِظِلِّ عَنِ طَلِّ » بعد أن قدمت ذكر السَّرْحَةِ - وهي الشجرة -
لتتمكن من لفظة ظِلِّ فتبمد التُّهْمَةَ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرْحَةَ أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها
جماعةٌ من أشراف الخوارج فرددتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطري بن الفجاءة ، في جُند
(الأباضية) فكانت ترتجزُ في تلك الحروب وتقول :

أَحْمَلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ سَحْلَةً وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنُهُ وَغَسَلَتْهُ

أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارج يُفدونها بالآباء والأمهات ، وكان « قطري » يُشبِّبُ بها . وفيها يقول
في وقعة دُولاب ، وهو من رقيق الغزل :

لَمَمَّرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدُ
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرِ مِثْلَهُمَا
لَمَمَّرُكَ إِنِّي يَوْمَ الْظُّمِّ وَجَّهَهَا
وَلَوْ شَاهَدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصُرْتَ
غَدَاةَ طَعْنَتْ عُلَمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
فَلَوْ شَاهَدْتَنِي يَوْمَ ذَلِكَ وَخَيْلِنَا
رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ

وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقِ « أُمَّ حَكِيمٍ »
شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْتِيمِ
عَلَى فَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ كَثِيمِ
طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمِ
وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمِ
يَمُجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمِ
أَغْرَهُ نَجِيبِ الْأُمَّهَاتِ ، كَرِيمِ
لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمِ
تُبْسِحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمِ
بِحَنْدَةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَتَمِيمِ

* * *

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١)

ولابن الوردى فى « أسما » :

أرى أسما إذا غضبت وصدت
وإن هى واصلتني طاب قلبى
وفىها أيضاً :

قد لامنى فى حبِّ أسما عاذل
فأعجب لمجرى مدامع أوقفها
وفى آمنة :

قد وعدتني بالوفا آمنه
كيف يخاف القلب من بينها

(١) الجزء رقم ٩٤٨ شعر تيمور .

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها
تهدّذني بالهجر في الوصل عامداً
ولالأزهرى في أنس :

أنست بالوصل مذ جاءت به أنس
عن مالك قد روى نيران وجنتها
وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت
لم لا ترقّ لحالي

وفي خديجة :

خديجة قد سبتني
وكانت الروح تقسو
بناء خدّ وهيجه
والآن روحي خديجه

وفيها أيضاً :

تمشّق في الهوى قلبي فتاة
أموت بحبها شوقاً وأحيا

وفي زينب :

وعرض بذكري حين تسمع زينب
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمها

وفي سلمى :

لسلمى من لواحظها سهام
إذا رامت تشكّ به فؤاداً

وفي عائشة :

أياً دهرٍ خبرني بحقّك واشفني
أيحلّ أني في المحبة ميّت

فسهام فكري في أموري طائشه
وحبيبتى من بعد موتى طائشه

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالي طائشه
ثم دعها بمد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهي بذنا عالمه
ثم انثنت لي بأنها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قائمه
قد أرضعت طفل الهوى مرّة
عادلّة مع أنّها ظالمه
بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قائلتي قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كآظمه
ما الإسم ؟ قالت : فاطمه

ولالأزهرى في نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادي
وقد حازت لفرط سنا بهاها

ولابن الجليل في عالمة :

عالمة عاملة بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذي
قامتها عادلّة ظالمه
ألقاه قالت إنني عالمة

وله أيضاً - فيها :

عالمة لها على
وأوتيت من كل شيء
كرسيها فضلّ جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى في قابلة :

أقول لقابلة أدمعي
أنا رجل مقبل للقا
على جها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن سمتها الراحمة
تكنم أسرار رقاعي لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابي
وبالت في جدالي
خود تسيط غرامي
عن طرفها الغزالي

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببها كالبدر خياطة
منزلها في القلب والطرف
فلي ركوب الفرج من وصلها
وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادي بالگرام فإؤها
من أدمى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أي بائعة الجبن :

بائعة جبن مُدْ همتُ بها
رأى الورى روحى بها تعبانه
وكلّ أهل الحى قد تحققوا
بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها
بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردى في رومية :

رومية الأصل لها مقلة
تفضحنى وجنتها فاعجبوا
تركية صارمها هندى
من وجبة فاضحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر
تملقنى مكرأ ولا
فجلّ من خلق
ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامية بوجنتها
أخشى من الملامة إذا قبلتها
يرق لي في حبها الشامةُ
فسوم بختي ينطق الصامتُ.

وله في بدوية :

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت
فلو بدت لحسان الحضرة قن لها
في قومها كهمة بين آساد
على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بى هيفاء من بنات العراق
ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعى وشدت وثاقي
بالعطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا
وقالت : احذر يافتي فتنة
في عينها شيء ولاجا هنا
للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطأ
ماظهر البدر من مشرقه
إن بنت الغرب في موكبها
كطالع الشمس من مغربها
ولالأزهري في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها
قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا
فالويل ممن يعبد الغارا

وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى
رجاني الشد منه
فتح لها أى فتح
وكثرة الشد ترخي

وقال آخر في مليحة تابع بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها
قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها
بالرخ شاة تسترت بالفيل
لكن خذى فرسى هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما (1)

قيل لأبي السائب المخزومي : أتري أحداً لا يشتهي النسب ؟
فقال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
والنَّسَبُ والتَّغزُّلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .
قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقهُنَّ ، فمن جملة بمعنى التغزُّل فقد أخطأ .
وقد نبّه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .
وقال الحاتمي : من حكم النسب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً
بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان
في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتمت انفصال واحد من الآخر وبإينه في صحّة التركيب ،
غادر بالجسم عاهةً تنخونُ محاسنه وتعفى معالم جماله .

يا ليل الصبّ متى غده (2) ؟

من نوادر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدي أيضاً .
وهو : كان أبو الحسن ، على الحضرمي القيرواني ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »
حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .
وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّنة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات
نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة
التي أولها :

(1) في العمدة : لابن رشيقي ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمراوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملَّ مريضك عودُهُ ورثى لأسيرك حسدُهُ
لم يُبقِ جفأك سوى نَفْسٍ زفّراتُ الشوقِ تُصعدهُ
هاروتُ يَمْنَعُنُ في السَّحْرِ رِ إلى عَيْنَيْكَ وَيُسِنِدُهُ
وإذا أغمدتُ اللَّحْظَ فَتَكَا ت فَكَيْفَ وَأنتَ تَجْرُدُهُ
كم سهّلَ خدكُ وجهَ رضَا والحاجِبُ مِنكَ يُعَقِّدُهُ
ما أشركَ فيكَ القلبُ فكمَ في نَارِ الهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فهى :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رقدَ السَّمَارُ فآرَقَهُ أَسْفُ اللَّيْلِ يَرُدُّدُهُ
فبكاهُ النَّجْمُ وَرَقَ لَهُ مِمَّا يَرعَاهُ وَيَرصُدُهُ
كَلِفٌ بَغْزَالِ ذِي هَيْبٍ خَوْفَ الوَاشِيَنِ يَشْرُدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ سَرَكَآ فِي النَّوْمِ فَمَزَّ تَصِيدُهُ
وكفى عجباً أُنَّى قَنَصُ لِسْرِبِ سَبَائِي أَغْيِدُهُ
صَنَمٌ لَلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أتعْبِدُهُ
صَاحِ وَالخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِيدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفَا وَكَأَنَّ نَمَاسَا يُعْمِدُهُ
فِيرِيقُ دَمِ المَشَاقِ بِهِ وَالوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلِّدُهُ
كَلَا ، لِأذْنَبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَأْمَنُ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوْرُدُهُ
خَدَاكَ قَدِ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جَهْوُوكَ تَجْجُدُهُ

إِنِّي لِأَعِينُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظُنُّكَ لَا تَتَمَعَّدُهُ
بِاللَّهِ هَبِ الْمُسْتَنَاقَ كَرَرِي فَلَعَلَّ خِيَالَكَ يُسَعِّدُهُ
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِي صَبَّ يَدَيْكَ وَتُبَعِّدُهُ
لَمْ يَبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
وَعَدَا يَفْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . يَزُوْدُهُ
يَا أَهْلَ الشُّوقِ لَنَا شَرَقٌ بِالذَّمْعِ يَفِيضُ مُورِدُهُ
يَهْوَى الشُّتَاقَ لِقَاءَكُمْ وَضُرُوفُ الدَّهْرِ تَعُدُّهُ
مَا حَلَى الوَصْلَ وَأَعْدَبَهُ لَوْلَا الأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ
بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجَدُّهُ
الْحَبِّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسان وضاعة الوجه (١)

كان لعزّ الدولة غلام ذكيّ وضيء الوجه ، ولفرط ميله إليه — جملة رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن المهيلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَبِّي يُرِقُّ المَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ
نَاطُوا بِمَعْقَدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
جَمَاهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبغدادي ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) في نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّمِينَة من الجليل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبْحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ تَجْلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضْرَاءِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُنْذِهِنَّ لِلرَّءِ الْحَزَنُ الْمَاءُ ، وَالْخَضْرَاءُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب

كُن عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخرج زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسالوة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشموس الجانحات غواربا » وفيها يقول :

أَسْلَبَنَ مِنْ فَوْقِ الْهُودِ ذَوَائِبًا فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْمَةً غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِيضٌ دَاهَنٌ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ كَوَاعِبًا

سَفَرْنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
 وسفرن لي ، فرأيت شخصاً حاضراً
 أشرقن في حلال كان أديماً
 وغربن في كلال ، فقلت لصاحبي :
 وَمَعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عِطْفُهُ
 حُؤُ التَّمَعُّبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
 عَاتَبْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتِهِ
 فَأَرَانِي الْخِدَّةَ السَّكِيمَ فَطَرَفُهُ
 ذُو مَنْظَرٍ تَعْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
 لَاغْرَوَانِ وَهَبِ اللَّوَاظِ حَطْوَةً
 أُسْبَلْنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ نَيْهَاً
 سُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا
 شَفَقْتُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيًا
 «بِأَبِي الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبًا»
 فُجَّحَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّيْبَةِ شَارِبًا
 عَنِّي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا
 وَازُورُ الْخَاطِئِ وَقَطَّبَ حَاجِبًا
 ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةَ مُضَاضِبًا
 نَهَبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيْونَ مَوَاهِبًا
 مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَابِي نَاهِبًا

كل فتاة بأبيها معجبة (١)

أرجوزة للأغلب العجلي ، يقول فيها :

كريمةٌ أخوالها والعصبةُ
 كأنها حقةٌ مسكٍ مُذهبةُ
 كأنها حليةٌ سيفٍ مُذهبةُ
 ثم انثنت به فوق الرقبةُ
 قبَّاه ذاتُ سرِّةٍ مُقعِّبةُ
 ممكورةُ الأعلى رداخُ الحجةُ
 أهوى لها شيخٌ شديدُ العصبةُ
 فأعلنت بصوتها : أن يا أبةُ

« كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني (١)

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغابي السعدي الصقلي المعروف
بالفاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفازر مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حيًا بتفاحة مخضبة من شفقتي حبه وتيميني
فقلت : ما إن رأيتُ مُشبهها فاحمرَّ من خجلة فكذبني

وقال أيضاً :

وأصلُ بليّتي من قد غزاني من السقم المُلحِّ بمسكرين
طيبٌ طُبه كغراب بين يُفرِّق بين عافيتي وبيتي
أتى الحمى وقد شاخت وباحت فعاد لها الشبابُ بنسختين
ودبرها بتدييرٍ لطيفٍ حكاة عن سنين أو حنين
فكانت نوبةً في كلِّ يومٍ فصيرها بحدقٍ نوبتين

وقال أيضاً :

يا وارثاً عن أبي وجدِّه فضيلة الطبِّ والسدادِ
وحاملاً ردَّ كلِّ نفسٍ همت عن الجسم بالعمادِ
أقسمُ لو قد طببت دهرًا لعماد كوناً يلا فسادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بيضٍ سلَّتنَ باللَّحظِ بيضا مرهفاتٍ جفونهنَّ جفونُ
وخدودٍ للدمع فيها خدودُ وعيونٍ قد فاض منها عيونُ

(١) في فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُتَمِّعُ الشَّبَابِ يَمُّ نَدْرُ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِمَّةِ
إِذْ يَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَعُ كَيْلِي وَبِذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُو تَهَادِ
وَالْمَوَانِي لَاعَنُ وَصَالِي غَوَانِي وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَادِ

تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة جانب وانرف من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها ألفة وعزّة وصرامة ، حتى رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن

قال يشبّب بمائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الظاع.
لم يرُغنى إلا الفتاةُ وإلا دمُها في الرداءِ سحّاً سخّ
عجّلت حمةُ الفراقِ علينا برحيلٍ ولم تخف أن تب
أنتِ أهوى العبادِ قُرباً ووداً لو تواتينَ عاشقاً محز
قاده الطرفُ يوم مرّ إلى الحية نـر جهاراً ولم يخف أن يح
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضي للناظر
فإذا ظنية تراعى نماجاً ومهأ بهج الناظر عين
قلتُ : من أنتم ؟ فصدّت وقالت أميدٌ سؤالك العالمين
قلتُ : بالله ذى الجلالة لَمَّا إذ تبتلّ القواد أن تصد
أى من تجمعُ المواسمُ أنتم فأبيني لنا ولا تكذ :

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قَبَلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قد صدقناك أن سألتِ فن: أذ تِ عسى أن يَجُرَّ شَأْنُ شَوْوَنَا
قد نرى أننا عرفناك بالله تِ نَظَنِّ وما قَتَلْنَا يَقِينَا
بِسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَتَغَرَّرَ قَد زَاهُ لِنَاطِرِهِ مُسْتَبِينَا
فكانت عائشة تقول: والله ما قلتُ له هذا وما كَأَمَّتُهُ قَطَّ .

وأبانا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت: يا أمير المؤمنين، مرُّ لي بأعوان، فصبر إليهما قوماً يكونون معها، فحجبت ومعهما ستون بنلاً عليها الهوادج والرحائل .

صُبْحُ الْمَشِيبِ يَدُلُّ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ (١)

قال الأمير أسامة بن منقذ:

قالوا نهاء الأربعمونَ عن الصِّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُوزُ ثَمَّةَ يَهْتَدِي
كم حار في ليل الشباب ، فدلهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
وإذا عددت سِنِّيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا وَمَنْ الْمَعْمُومُ فَتِلْكَ سَاعَةٌ مَوْلَدِي

الشاعر الغزال (٢)

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الرواني ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسر به سروراً عظيماً ، ونال من لدنه ودّاً وتكريماً ، حتى إنه مال إليه ، وقرَّ بهُ لديه ، فطلب منه منادته ، إلا أنه امتنع لما أدرك جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالمة حسناً وضياءً، فما لبثَ الغزالُ لا يعيل طرفه عنها شغفاً بباهر ما استراه منها، وجعل الملك يحدثه وهو لاهٍ عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأنى قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فأنى لم أر قط مثلها. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجاب به بالشاعر الغزال. كما سرّت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي (١)

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الحسين أو يزيد، وقد وخطه الشيبُ ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تودُ) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيبُ؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترى قطّ مهنراً ينتج وهو أشهبُ؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُلِّفْتَ يا قلبي هوى مُتَعَبِياً	غالبتَ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الأَغْلَبِياً
إِنِّي تَمَلَّكْتُ مجوسِيَّةً	تأبى لشمسِ الحُسْنِ أن تَغْرُبَ بآ
أقصى بلادِ اللهِ في حيثُ لا	يُذْفَى إليه ذاهبٌ مَذْهَبِياً
يا تَوَدُّ يا ورَدَ الشبابِ الذي	تُطَلِّعُ مِنْ أزرارِها الكوكِبِياً
يابأبي الشَّخْصُ الذي لا أرى	أَحْلَى عَلَيَّ قَلْبِي ولا أَعْدَبِياً
إن قُلْتُ يوماً إنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَهُ لم أَعْدُ أن أكَذِبِياً
قالت: أرى (فَوَدَيْهِ) قد نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أنْ أَدْعِبِياً

لها : ما باله . . . إنه قد يُنتجُ المهرُ كذا أئمهبا
نضحكتُ عُجْباً بِقَوْلِي لَهَا وَإِنَّمَا قُلْتُ لِكَيْ تُعْجَبَا
ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب ففدا عليها،
وقال :

كَرَتْ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشِبَابِي
شَيْبُ عِنْدِي وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جَلَّتْ بِضَابِ
بِي قَلِيلًا ثُمَّ يُقْشِعُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لِنَهَابِ
نُكْرِي وَضَحَّ الشَّيْبُ فَاتَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ
مَاتَهُوَيْنَ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

غرام أم جنون

مر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
لم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
دادها من الخالص ، وفي الأبيات التي يناجها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ؛
وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

كُنَّ مَنِّي السَّقْمُ حَتَّى كَأَنِّي تَوَهُمٌ مَعْنَى فِي خَفِيِّ سُؤَالِ
سَأَحْتُ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي السَّكْرِي لِأَشْكَلُ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ خِيَالِي
تُ بَرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ وَجُدْتُ بَقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
خَفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقْضِ أَوْطَارِي بِيَوْمٍ وَصَالِي
أَنْ مَا لَقِيَّ مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودٌ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِي
كَانَ ذَلِكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنْ الدُّنْيَا مَطِيَّ رِحَالِي

ثم ما لبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فة
ما بال قلبك يستبين أبه غرام أم جنو
برح الخفاء بما تجن فأذهب الشك
حتى مشى بين الجوا نوح والضلوع هوى
وإلى متى قلب التتسيم في يد البلوى
شخصت له فيك العيون وقسمت فيك ا
وسلبت الباب الورى بلوا حظ فيها فتو
وقوام أعصان الريا ض وأين تدر كك ا
الحسن في الأعصان فن وهو في هذا
من أين للأعصان ذا ك الحسن والسحر ا
أم ذلك الورد الجيني بخده والياء

سلعوس وسلعسة (1)

قال إبراهيم بن المهدي : كفت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي
العبث : ياسلعوس . فقلت :
أما لعريب أن ترى غير سلعسة فكوني كما أنت ، تك
فقال المأمون على الفور :
فإن كثرت منك الأفاويل لم يكن هؤالك شك أن ذا
قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :
كذا - والله - يأمر المؤمنين قذرت ، وإياه أردت !

عاتكة بنت معاوية

حدَّثني الكُراني قال : حدَّثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدَّثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان - قال : حدَّثني محمد ابن عمر - قال : حدَّثني محمد بن السريّ - قال : حدَّثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حَجَّت عاتِكةُ بنتُ معاويةَ بن أبي سُفيان - فنزلت من مَكَّةَ بِدِي طُوسٍ ، فَبَيْنَمَا هِيَ ذات يوم جالسةٌ وقد اشتدَّ الحرُّ وانقطع الطريقُ ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جوارِها فرفعنَ السَّترَ وهي جالسةٌ في مجلسِها ، عليها سُفوفٌ لها ، تنظرُ إلى الطريقِ ، إذ مرَّ بها أبو دِهَيْبِ الجَمْعِيِّ - وكان من أجملِ الناسِ وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلًا ينظر إليها وإلى جمالِها ، وهي غافلةٌ عنه ، فلَمَّا فَطِنَتْ له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السَّترِ . وشتمته ، فقال أبو دِهَيْبِ :

إني دنان الحين فافتادني	حتى رأيت الظبي بالبَابِ
ياحسنة إذ سبني مديرا	مستترا عني بجلبَابِ
سبحان من أوقها حسرة	صبت على القلب بأوصابِ
يدود عنها إن تطلبها	أب لها ليس يوهابِ
أحلها قصرًا منيع الذرى	يحمي بأبوابِ وحجابِ

وقال أيضًا :

طال ليلى وبث كالمخزون	وملئت الثواء في جبرون
وأطلت المقام بالشام حتى	ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل	كبكاء القرين إثر القرين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الفواص	ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبها لم تبيدها	في سناء من السكارم دون
ثم خاصرتها إلى القبة الخض	راء تمشي في مرمي مسنون

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ كَيْفَاتِي فِي فُنُونِ
كَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوِي أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسام^(١): كان المعتصم بن صمادح، يوماً مع ندمائه. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللب المطرب من ذلك. وحضر أيضاً هناك لاعب مصري ساحر، فكان لعبه حسماً، فارتجى أبو عبد الله بن الحداد:

كَذَا فَلْتُلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاطِرًا نَاصِرًا
وَسَيْبُكَ سَيْبُ نَدَى مُنْدَقِ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقِ مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لِحَظْنَا مُحْيَا الْعَلَا سَافِرًا
وَأُطْلَعَتْ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ فَزَالَ كُوكِبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَوَدَّاهُ . ثَابِ لَالْعَابِ بِهِ دَقَائِقُ تَلْنِي الْحِجَا حَاطِرًا
وَفِي سُورَةِ الرِّيحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْلِحْظَ أَثْنَاءَهَا فَا الْوَهْمَ عَنْ وَرْدِهَا سَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبْدَاعِهِ فَا انْفَكَ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَمْعُكَ يَجْتَلِبُ الْمُغْرِيَاتِ فَيَجْمَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذرُ الأكبر^(١) إلى أنوشروانَ ، جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغسانيِّ ، وكتب إلى أنوشروانَ يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلةَ الخلقِ ، نقيّةَ اللونِ والشَّعرِ ، بيضاءَ قمرًا ، وطفاءَ كحلًا ، دَعَجَاءَ عَيْنًا ، قنواءَ شَمَاءَ ، برَّجَاءَ زَجَاءَ ، أَسِيلَةَ الخدِّ ، شهيةَ المَقْبَلِ ، جَنَلَةَ الشَّعْرِ ، عظيمةَ الهامةِ ، بعيدةَ مهوى القُرْطِ ، عَيْطَاءَ عريضةَ الصِّدْرِ ، كاعبِ الثديِ ، ضخمةَ مشاشِ المنكبِّ والعَضُدِ ، حسنةَ المعصمِ ، لطيفةَ الكفِّ ، سَبْطَةَ البنانِ ، ضامرةَ البطنِ ، خَمِيصَةَ الخِصْرِ ، فَرَّتِي الوِشَاحِ ، رَدَاخَ الإقبالِ ، رابيةَ الكفِّ ، لفاءَ الفَخِذَيْنِ ، رِيَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضخمةَ الماكمتينِ ، مُفَعِّمَةَ السَّاقِ ، مشبَعَةَ الخُلُخَالِ ، لطيفةَ الكعبِ والقدمِ ، قُطُوفَ المشيِّ ، مكسَّالَ الضحَى ، بَصَّةَ المتجرِّدِ . وهي سموع للسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنُساءَ ولا سَفَمَاءَ ، دقيقةَ الأنفِ ، عزيزةَ النفسِ ، لم تُعَدِّ في بؤسٍ ، رزينةَ حلِيمَةٍ ، ركيئةَ كريمةِ الحالِ ، تقنِصُ على نَسَبِ أبيها دونَ فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دونَ جُماعِ قبيلها ، قد أحكمتها الأمورُ في الأدبِ ، فرأيها رأيُ أهلِ الشَّرَفِ ، وعملها عملُ أهلِ الحَاجَةِ ، صنَّاعَ الكفِّينِ ، قطيعةَ اللسانِ ، رهوةَ الصَّوْتِ ، ساكنةَ تَزينِ الوَلِيِّ ، وتشينَ العَدُوِّ . إن أردتها اشْتَبَتْ ، وإن تركتها انتهت .

فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أسممها وأجممها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني نعلبة ، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) في العز بن الحلي ص ٧٦٢ .

(٢) والأعاني ج ٢ ص ٢٩ .

فروت بفناء خيمة ، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسناً وجمالاً . له ذؤابتان كأنهما
السبح المنظوم ، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة تمه . وعنده امرأة أحسن منه وأجل ، وأكثر
ما أسمع من كلامها (يا بُنى) ، وهو يتنسم لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب
عذراء ، ولا يرُدُّ لها جواباً من الاستحياء . فاستحسنت ما رأيت منهما ، فدنوت من الجباء ،
فبصرت المرأة بي . ثم قالت لي : يا حصرى ، ما حاجتك ؟ . فقلت : لاجبة لي إلا الذى
استحسنت منك ومن هذا الغلام . فقلت : أتحب أن أسمعك شيئاً من خبره ، وهو
خير لك من نظره ؟ . فقلت لها : ها تى لله درُّ أبيك . فقلت لي : إنى حملته تسعة أشهر ،
فكنا فى عيش ضنك كدير ، ورزق نزر حفير ، حتى إذا شاء الله أن أضعه ، فوضعتُه -
بحمد الله خلقاً سويًا ، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتُه حتى من الله علينا ، وأجزل
وسهل وتفضل ، بيمن وجهه وسعادة طلعتُه . فسميته (مالكاً) ثم أرضعته حواكين
كاملين . فلما استتم الرضاع ، نقلته من الهدى بينى وبين أبيه ، فنشأ بيننا كأنه شبل
أسد ، نقيه برد الشتاء وحر الصيف . فلما مر عليه خمسة أعوام ، دفعته إلى مؤدب
يملمه القرآن ، فقرأه وتلاه ، ونظم الشعر ورواه ، حتى أتم سبع عشرة سنة ، فأركبته
عتاق الخيل فتفرس ، وحمل السلاح فتفرس ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى
إلى صوت الصارخ ، وأنا خائفة عليه وجلة مشفقة من الألسنة أن تشينه ، ومن الألفاظ
أن تعينه ، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجديت بلادنا ، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا ،
فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا ، ونزلنا فى غير منازلنا ، فخرج أصحابنا لطلب نارهم ،
وخلفه عن الركب معهم وجع أصابه ، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل
من المدو ، ولم يتولنا عقل ، ولا هدونا . فما كان إلا هنيهة حتى حازوا على الأموال ،
وانهزم الرجال ، وهو فى البيت يسألنى عن الصوت ، وأنا أكتبه خيفة عليه .
حتى علمت الأصوات ، وبرزت الخببات . فلما سمع ذلك نار كما يشور الليث المنضب ،
وأسرج فرسه ، ثم أفرغ عليه لامة حر به ، وتقلد سيفه ، واعتقل رُمحه . ثم لحق المدو ،

فطعنَ أذنيَ فارسٍ منهم فأرداه قتيلاً ، فرجموا إليه ، فأرأوه ولداً لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
نمطفوا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعننا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرَّ الباقون !

غنيه : شحاذه

لو كان بالصبرِ الجليلِ ملاذهُ	ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورداذهُ
ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبهُ	حتى وهى وتقطعتْ أفلاذهُ
لم يبقَ فيه من النرامِ بقيةٌ	إلا رسيسٌ يحتويه جداذهُ
من كان يرغبُ في السلامةِ فليكنْ	أبداً من الحدقِ المراضِ عيادهُ
لا تحذعنك بالفتورِ فإنه	نظرهُ يضربُ بقلبك استلذاذهُ
يا أيها الرشاشُ الذي من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نفاذهُ
دُرٌّ يلوخُ بفيك : من نظامه ؟	خمرٌ يجولُ عليه : من نبادهُ
وقناةُ ذاك القدِّ : كيف تقومتْ ؟	وسنانُ ذاك اللحظِ : ما فولاذهُ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجفُو عليه لآذهُ
هاروتُ يمجزُ من مواقعِ سحرِهِ	وهو الإمام ، فن ترقى أستاذهُ
تاللهِ ما علقَتْ محاسنكُ امرأً	إلا وعزَّ على الورى استنفاذهُ
أغریتْ حبكُ بالقلوبِ فأذعنْتِ	طوعاً وقد أودى بها استحواذهُ
مالى أنيتُ الحظَّ من أبوابِهِ	جهدى ، فدامَ نفورهُ ولِوآذهُ
إياكُ من طمعِ المنى ، فمزيزهُ	كذليله ، وغنيه : شحاذهُ

العيون

لأعدبّين العين

قال الشاعر (١) ابن الصّمدى يصف العيون :

هى التى توقّع القلب فى التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهمّ والنّصب ، وترميه بدواعى
الهوان ودواهى الهوى ، وتسلمه إلى مكابدة الغرام ومكابدة الجوى ، لوعدبتُ بطول السّهرِ
وكثرة الدّموع وببيض الشّتون وعدم الهجوع ، وبسامرة الأحزان والفسكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طما ، وعدمَ مئال المنام وإن نما :

لأعدبّين العين غير مُفسكرٍ فيما جرتُ بالدمعِ أو سالتُ دما
ولأهجرنّ من الرقادِ لذيذه حتى يعودَ على الجفونِ محرّما
هى أوقعتنى فى جباريلِ فتنةٍ لو لم تكنْ نظرتُ لكنتُ مسلّما
سفكتُ درى فلاسفنّ دموعها وهى التى بدأتُ وكانتُ أظلمّا

ولعلّ موجب هذه الواعظة، والألفاظ التى هى بالتحذير لافظة أنى خرجت فى بعض الأيام
متفرّجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفى فى الرياض وسائحاً ، وصحبى صديق لى فى المحبة صادق ،
ورفيق لى فيما أرومُ موافق ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حذقٍ وظرافة ،
ينصبّ لخدمتى لا يملّ ولا يسأم ، ويتعب فى مرّضاتى لا يكلّ ولا يندم ، ويجتهد فى موافقتى
لا يملّ ولا ينم ، ويحسنُ مرافقتى لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جُهينة أخبارى ، وكنزاً
لخزائن أسرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

بروحى من لا أستطيعُ فراقه ومن هو أوفى من أخى وشقيقتى
إذا غاب عنى لم أزل متلفّئاً أدورُ بعينى نحو كلِّ طريقِ

(١) فى لوعة الشاكى ودمعة الباكي .

معانى لفظ العين

للامامة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة فى معانى لفظ العين ،
وهى فى فنّها غريبةٌ - قد احتوت على معانى فى لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه فى أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هى القصيدة كما نقلت من خطّ الشيخ مصطفى البدرى فى كراسة
« مجموعة لغوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنّي الفلّا وكحيلَ عينٍ	ويا بدرَ الدجى وضياء عين
(الشمس)	
حُميتَ من المكاره ياغزالاً	حوى كلّ الكمالِ بدون عين
(الميّب)	
ملكْتَ القلبَ منى يا حبيبي	وحقّ المصطفى المجرى لعين
(الماء)	
دعانا للهداية نعم طه	رسولٌ قد أبانَ لطرقِ عينٍ
(حقيقة القبلة)	
أمينٌ سيّدٌ ما فيه شكٌ	به تُهدى الأنام بكل عين
(الناحية)	
له ذاتٌ خلتَ من كلِّ سوء	وقلبٌ قد خلا من شين عين
(الرياء)	
سما فوقَ السماء ونالَ قرباً	وخطبَ ربّه وحظى بعين
(النظر)	
جميلُ النفس والأفعالِ قطعاً	صنّى خالصٌ من قبح عين
(الميل)	

(١) وضع تفسير كل لفظ. عين بين (قوسين) المنفور له الامامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر.

- أذاع الخيرَ فينا كلَّ وقتٍ وعودَ أمةٍ من سرِّ عَيْنِ
(إصابة العين)
- عَلَا رَبَّآ فليسَ لها انتهاءٌ وأظهرَ دينه لخيار عَيْنِ
(الجماعة)
- يُقيمُ سريرةَ غرَاءٍ فينَا . . . كم قد هدَى من كلِّ عَيْنِ
(الإنسان)
- رؤوفٌ بالعبادِ رحيمٌ قلبِ عظيمُ القدرِ سيّدُ كلِّ عَيْنِ
(الكبير)
- كريمٌ منتقى ، بجرُّ العطايا فكم من الأنامِ جزيلَ عَيْنِ
(المال)
- عظيمُ مُجتَبَى قد ظللتهُ لدى حرِّ عظامٍ كلِّ عَيْنِ
(السحاب)
- خيلُ اللهِ أحدُ ذو كمالِ مجيرُ النَّاسِ من لحظِ بعَيْنِ
(المطر)
- رحيمٌ بالعبادِ سريعٌ بأسٍ على قومٍ لثامٍ مثلَ عَيْنِ
(الطائر)
- كبيرُ القدرِ في الدارينِ حقاً مُغيثُ النَّاسِ من حرِّ لعَيْنِ
(شعاع الشمس)
- رسولُ اللهِ أنتَ لنا ملاذٌ لنا فيكَ الرِّجا يانسلُ عَيْنِ
(الخيار)
- فكم صرقتَ عنا من كروبِ بدُنيا ثمَّ أُخرى عمدَ عَيْنِ
(الجد واليقين)
- وخلقتُك مبدأُ الأشياءِ حقاً حبيبي أنتَ أوَّلُ كلِّ عَيْنِ
(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منيية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكحيل عين
(البصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب « سحر الميون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجهان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في مائها سُميت : المُقَلَّة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أي : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزلٌ وغزلٌ مُكحَلَةٌ . ولي عينٌ تباكت
وحاكت في فعائلها الواضي فيالك مُقَلَّةً غزلتٌ وحاكت

و(الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقٌ بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ ... لَمْتَان ... أَي : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .

وقال الشريف الرضي :

يَاقَلْبُ مَا لَكَ لِأَشْرَنِ وَقَا رَأَتْ سَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْمُشَاقِّ ؟
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الرَّا ضُ وَلَمْ تَزَلْ تُسْتَجِي الْقُلُوبَ جَنَائِيهِ الْأَحْدَاقِ

و (الناظرُ) : السَّوَادُ الْأَسْفَرُ الَّذِي يُبْعِثُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ : هُوَ مِثَالُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصْرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغْبَتُهَا ، وَبُؤُوبُهَا ، وَتَمَالُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبَّتُهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطرفٍ : وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا لِمَوْضِعِ الْبَصْرِ الَّذِي فِي حَاسَةِ الْبَصْرِ ، وَالْجَمْعُ : نَوَاطِرُ وَنَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصِفَاتِهِ ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تُخَيَّلُ فِيهِ .

و (الناظران) - أَيضاً : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يُسَمَّيَانِ الْأَنْفَ ، يُقَالُ إِنَّهُ لَمُرْتَفَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يُجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرٍ . قَالَ شَارِحُ كِتَابِ الْفَصِيحِ : نَظَرْتُ لِعَمِي وَنَظَرْتُ : انْتَهَرْتُ وَتَنْظَرْتُ .

و (نظرتُ) بِمَعْنَى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَمَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَي : أَمْهَلُونَا : قَالَ الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينِ الْقَبْرَاطِي :

يَا قَاتِلِي بِنَوَاطِرِي أَجْفَانُهَا بِسَيُوفِهَا الْأُمْتَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُوبُ النَّزَالِ أَوْ الْغَزَالَةِ إِذْ رَنَّتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغَيَّبُ

و (الجماليقُ) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حِمْلَقٌ - قَالَ ابْنُ مَطْرَفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا - إِذْ قَلِبْتَ لِلسُّكْحُلِ - بِحِمْرَةٍ . وَقَالَ الزَّيْبِيدِيُّ : الْجَمَالِيْقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلْمُؤَخَّرِي الْعَيْنَيْنِ مَمَالِي الصُّدُغَيْنِ : الْحَقِيمَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ : شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرٌ كُلُّ شَيْءٍ حَرَفَهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَمِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهدابُ) : الشعْرُ النَّابتُ عليها ، وَاحِدُها : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال الممهلة ، قال الشيخ برهان الدّين :

أهدابٌ أَحْظَكَ لِلرّوَى شَرَكٌ فَمَنْ أَوْذَقْتَهُ فِيهِنَّ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النّجاةُ وَرُمِحُ قَدِّكَ مُشْرَعٌ؟ كَيْفَ الْخِلاصُ وَسَيْفُ أَحْظِكَ مُصَلَّتُ؟

و(المحجرُ) : ما دار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجرٌ ، ويقالُ : مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحجرُ محجرًا لِأنَّهُ مفعولٌ من الحِجْرِ وهو المَنع ، فكأنه مانعٌ عن العينِ من جميع جهاتها ، ومنه الحِجرَةُ الحِيطَةُ بِالْجُدْرِ ، والجمعُ : الحِجْرَاتُ .

قال الأمير سيف الدّين المشدّد وأجاد :

إِنَّ الْعيونَ لَكَ الْحِصونَ : فُهْدِبْهَا مُرْفَاتِهَا ، وَجُفونِهَا الْأَسْوَارُ
وَكَذَا مَحْجَرُهَا : الْخِناذِقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (المائق) و (الموق) : هو طرفُ العينِ ممّا يلي الأنفَ ، وهو مخرَجُ الدمعِ مِنَ الْعَيْنِ ، ولسكَلٌ عَيْنِ مُوقَانٍ ، وفي الموقِ وفي جمعه لُغَاتٌ كَثِيرَةٌ يُقالُ : مَاقٌ - بالهمز ، وجمعه آماقٌ ، ومُوقٌ - غير مَهْموزٍ ، وجمعه أمواقٌ وأماقٍ ومَاقٍ . والمقيةُ - لُغَةٌ في المائقِ أيضاً ، والجمعُ مُقَيٌّ . والمائقُ : مَقْدَمُهَا . وقيلَ : الموقُ مؤخَّرُ الْعَيْنِ ، ومَاقٍ يُجْمَعُ على مَواقٍ مِثْلُ قَاضِيٍّ وَقَواضِيٍّ . وفي الحديثِ : « كَأَنَّ يَكْتَحِيلُ مِنْ قَبْلِ مَوقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » . قال التنبُيُّ يمدحُ كَافورَ الْأَحْشِيدِيِّ :

قَواصِدُ كَافورٍ تَوارِكُ غَيرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقِيَا
فِجاءتُ بِهِ إِنسانَ عَينِ زَمانِهِ وَخَلَّتْ بَياضًا خَلْفَها وَ (أماقيا)

و (الألحاط) : جَمْعُ لِحْظٍ ، وهو مؤخَّرُ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصَدغَ وجمَعُها لِحاظٌ ، ولواحِظٌ . فأما اللِحْظَةُ فَهِيَ النَّظَرَةُ وَجمَعُها : لِحْظَاتٌ في القليلِ ، واللِحْظُ في الكثيرِ ، ويجوزُ أنْ يَجْمَعُ موضعَ اللِحْظَةِ . يُقالُ : لِحْظَ الْعَينِ - مِثْلُ رَأْيِ الْعَينِ وَيقالُ : لِحْظَ السَّماءِ بِطَرَفِهِ يَلْحِظُ لِحْظًا فَهو لَاحِظٌ .

قال شيخ الشيوخ الأنصاري بحماسة :

يا نظرةً قد جلت لي حُسنَ طَلْعَتِهِ حتى انقضت وأدامتنا على وَجَلِ

عابتُ إنسان عيني في تَسْرُعِهِ فقال لي : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

(والطرف) : هو مآلٌ بأحد السَّوادين : السَّوادِ الأعظم ، والسَّوادِ الأصغر . قال ابنُ مطرف :

« طرفُ العين تحركُ أشفارها » ويقال : طرفَفة عينٍ ، والعينُ المطروفة منه مأخوذٌ ، وهو

أن يُصيب سوادها شيءٌ فيتأذى صاحبُها به ، وربما أبطلها . وهي « الطرفَفة » قال الشيخ
علاء الدين الوداعي :

كم دماءٌ مطلولةٌ في هَوَاهُ وبها وَرَدُ خَدَّهِ مَطْلُولُ

وحديثٌ من السقام صحيحٌ قد رَوَاهُ عن طرفِهِ مَكْحُولُ

و (القَبْلُ) هو مِيلُ الحدقة في النظر إلى الأنف . وأنشد الثمالي وقد استحسنته

في « فقه اللثة » له - قولٌ ذى الرمة :

أشهى في الطفلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا

وقال جرير :

وما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة (أشكلُ)

وقول علاء الدين البديوي :

أنا جدُّ أنصار النبي لأنني يا أزرَقَ المَينينِ عبدُ (الأشهلِ)

وأنشدني المولى أبو الفتح محمد الرسام الأزهرى :

رنت رمت فأصابت قلبي ، وأذكت لهيبه

فهو المصابُ بمَينِ (شهلاء) وهى المصيبة

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأغيد كلُّ شيءٍ فيه يمجِبُنِي كأنما هو مخلوقٌ على شَرَطِي

أجفانه السود ما تُخطِي إذا رشقت سهامها ، وسهامُ اللئيلِ ما تُخطِي

وقال علاء الدين الوداعي :

رمتني سودُ عينيهِ
وما في ذلك من بدعٍ
فأصممتني ، ولم تُبْطِي
سِهَامُ الليل ما تُخْطِي

وقال شهاب الدين الزعفريني :

مليكَ على العشاق ، سكرانُ طَرْفِهِ
شكوتُ إليه أسرَ قلبي في الهوى
فلا عجبٌ للَحْظِ منه يُمرُّ يدُ
فوقَّع لي : سِحْرُ الجفون يُخلدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحوي الوري
من سِحْرِ عينيكَ المهابة تعلمتُ
وبسحر عينيهِ النَّواعس تُقبلُ
وكذلك الزلانُ منها تنزلُ

وقال ابن عباد :

ونظرون من خَلَلِ الشُّتور بأعينِ
مرضى يُخالِطها السَّقَامُ صحاح

وله أيضاً :

وسنانُ قد خدع النَّعَّاسُ جُفونَهُ
مذ غَضَّ طرفاً بالحياءِ فإنني
فحكي بعقلته ذُبول النَّرجسِ
منه استحيت بأن أقبل مؤنسى

وقال النزِّي :

كأعما سوادُ عينِ مُنيتي
لا تُنكروا مقاتلي تجاهلاً
مع علمكم بأنَّها لوأمه
كمنبرٍ يا أنفسا لوأمه

وقال الشهاب بن القطان :

شاقني (مارسُ) فُولِ
وابتغى التمريضَ ، قلنا :
زهره حاكِي عيونك
لعنَ اللهُ قرونك

آفة النظر وغائلته

وكنت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كآله أنت قادر
ولأبي العباس الصيبي :

قم فاسقني بين خفق الغاي والعود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشري فنامي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لتزوي الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأنتها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت العدا
فبالله نبلغ ما نرتجى
وله أيضاً :

يضيّب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الأطباء وصادني
تقدت لواحظه إلى بأسهم
ظيّه وعهدى بالطباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ المداد وما تعمّد صبّه فتورد الخد البديع الأزهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى ما فوقه أدباً ولينظرن إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رفق وقد أذابت هموم النفس أكثرها
وإنما سامت منها بقيّتها لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حلّ بي عجب عجب تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن نبت عن ناظرى فأنتم في القاب يا غاية التمني
والظنّ أن لا تخون عهدي لا خيب الله فيك ظني

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان (1)

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هندًا بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر يغنى به . فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هندًا .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالًا وشعرًا وسخاءً ، وقد عشق هندًا وعشقتة ، فأثمهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك :

ألا إن هندًا أصبحت منك سحرًا وأصبحت من أدنى حموتها رحى
وأصبحت كالقصور جهن سلاحه يقبُّ بالكفَّين قوسًا وأسهمًا

حكمة التعدد في الاسلام (2)

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

ولا المسلمين إلا ومعهم المسلمات ، ولا الصّائمين إلا ومعهم الصّائمات . قال تعالى :
 « وَمَنْ يَمْعَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ
 وَلَا يُظْلَمُوْنَ نَقِيْرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صٰلِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰٓةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ » . وقال تعالى :
 « اِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمٰتِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ وَالْقٰنِتِيْنَ وَالْقٰنِتٰتِ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقٰتِ
 وَالصّٰبِرِيْنَ وَالصّٰبِرٰتِ وَالخٰشِعِيْنَ وَالخٰشِعٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِيْنَ وَالْمُتَصَدِّقٰتِ وَالصّٰئِمِيْنَ وَالصّٰئِمٰتِ
 وَالْحٰفِظِيْنَ فُرُوْجَهُمْ وَالْحٰفِظٰتِ وَالذَّاكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَالذَّاكِرٰتِ اَعَدَّ اللّٰهُ لِهٖمْ مَغْفِرَةً
 وَاَجْرًا عَظِيْمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيفف بنفسه على ما ذكر .
 فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب، وعليهن ما عليهم من العقاب،
 لافرق بين حرٍّ وراقٍ ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة غاب عنها زوجها حفظت غيبته في نفسها ،
 وطرحت زينتها، وقيدت رجلها، وأقامت الصلاة ؛ فإنها تحشر يوم القيامة عذراء طفلة ،
 فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنة، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء .
 فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلًا عن اتصافه بالفضل ، أن يضئع عمل عامل ، أو يحرم
 الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء
 أوريا بقولك لأحبين دين الإسلام، لكن ربّما يمنعنّ شيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ شيء ،
 وأضرّ . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتمدّد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية
 ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان
 ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علوه
 ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدّد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدّد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشرير وداغوير الأوّل ثلاث زوجات، ولعمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غرينور الثالث إلى الواعظ بدستقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنعها عن القيام بحق الزوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للصلابة مؤثّرها الضرورية ». »

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لم يميّز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعدار المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفسد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنّة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مآظاهرة الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّل بشرف الإنسانية. فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم التزوّج منها خلاف ما كان يعمد، على أنه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجدّ الهجر ضربها، بشرط ألا يضربها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهنّ مذموماً ، وصيّر من عاقبن على كل ما فرط منهنّ ماوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم : « احموا النساء على أخلاقهنّ » وقول عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبيّ ، فإذا طُلبَ ما عنده وُجِدَ رجلاً » .

وقال بعض الصحابة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « ما حقّ زوجة أحدنا عليه ؟ . قال : أن تُطعمَها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقبّح ، ولا تهجر ، إلّا في البيت » . ومعنى لا تُقبّح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعمّم أمر النساء ويوجب رعايتهنّ والمبادرة إلى القيام بحقوقهنّ . وهل حرّية النساء إلّا أن يبلنن حقوقهنّ على أزواجهنّ ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهنّ من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبلُ العقلُ المنزّه عن العصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهنّ وما اشتبهنّ ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهنّ وأهوائهنّ على عقولهنّ .

المرأة التي تزوج عليها زوجها

في « سبحة المرجان ^(١) » أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتزّ :

خبرؤها بأنني قد تزوّج
ثم قالت لأختها ، ولأخرى
وأشارت إلى نساء لدينها
مالقبي كأنه ليس مني
ت فظلت تكاتم النيط سراً
جزعاً : ليته تزوّج عشرأ
لا ترى دونهنّ للسرّ ستراً
وعظاي أخال فيهنّ فترا

(١) سبحة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو رياش : كان الرجل إذا عُرفَ بحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها (١)

قال الأصمعي : الحَسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنك لجميل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برنّسه ولا عموده . إن رداءه ألبياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربّعة ، وبرنّسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولي : إنك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضي الله عنها - لتنظر إليها ، فلمّا رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسديك .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأوّل مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - من الثيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده . أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجائز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ . (٢) في الروض الأنف .

ورُوي أنّ امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله . فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره .
وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها .
وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بئينة بنت الضحاك .
وقد أجازها مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .
وفي مسند الزّار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوّجها وهي لا تشعر » .

وفي تراجم البخارى في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أنّ النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضى الله عنها : أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقةٍ من حرير ، فسكت عن وجهك ، فقال لى : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله يُمضيه ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنّها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحّة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سمّيه فمن هاهنا تطرّق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يُضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بغير شكّ إمام المتقين وقدوة الورعين . وجويزية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ . وتوفيت في شهر ربيع الأوّل سنة ست وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء (١)

وَجَّهَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... عُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ والياً على البَصْرَةَ ، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حَوْمَةٌ من حَوَمَاتِ العَدُوِّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حوَّلَهَا ، ويُعينك عليها . . فإذا قَدِمَ عليك العَدُوُّ ، فاستشره ، وادعُ إلى الله ، فمن أجابك فأقبل منه ، ومن أبى فالجزيةُ ، وإلا فالسيفُ ، واتَّقِ الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كِبَرٍ ممَّا يُفْسِدُ عليك إِمْرَتَكَ ، وقد صحبت رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمُرِّزْتَ به بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَقُوِّيتَ به بَعْدَ الضَّعْفِ ، حتى صرتَ أميرًا مُسَلِّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا ، تقولُ فَيَسْمَعُ منك ، وتأمُرُ فَيطاعُ أمرُك ، فيألها من نعمة ، فاحتفظ من النعمة احتفاظك من العصية ، وَلِهِيَ أخوفُهما عندى عليك أن تستدرجَكَ وتخدعَكَ فتسقط سقطَةً تصيرُ بها إلى جهنم ، أُعِيدُكَ بالله ونفسى من ذلك . إنَّ النَّاسَ أسرعوا إلى الله حتى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فأرادوها ، فأرَادَ اللهُ ولا تُرِدِ الدُّنْيَا . واتَّقِ مصارعَ الظالمين . انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فسار عُتْبَةُ ومن معه ، وأقام بالبَصْرَةَ ، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس ، فاقتتل الفريقان .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فَأَتَّخَذُنَّ مِنْ مُخْرَجِهِنَّ رايات ، وسرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا للمسلمين قد أقبل ، فانهزموا ، وظفر بهم المسلمون !

كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة - رضي الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التنظية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضي الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم منع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالنعش ليكون أعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس القميص والسراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المجرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافلته بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كراس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبدن الرجل .

وقد قالت عائشة - رضي الله عنها : كنا إذا مر بنا الركببان سددت إحدانا جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن آثر الإنصافَ وسلكَ سبيلَ العِلمِ والعدْلِ تَبَيَّنَ له راجحُ المذاهبِ من مرْجُوحيها ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفقُ الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصُفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعامه تخفيها بريش ، ولا تُبديها للشمس والريح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليعمل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزنى المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بمينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صدت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستماحة . كالذمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت إ

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » أسما « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بمدى والذي تضميرين يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلقٍ وصُحْبَةَ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن عُرْبَةَ

(١) في خزنة الأدب للبغدادي . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعامه غالباً .

فقات له : والله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظي منك . وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمي تخاف من أم عُقبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومرث أقولها أو بندبه
فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر فارعي حتى لحسن الوفاء
إنتى قد رجوت أن تحفظي العم د فكوني إن مت عند الرجاء
ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث بعده قليلاً حتى خطبت من كل جانب ،
ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقالت مجيبة لهم :

سأحفظ غساناً على بُعد داره وزعاه حتى نلتقى يوم نُحشَرُ
وإني لني شغل عن الناس كلهم فكفوا فإ مثلي بمن مات يغدرُ
سأبكي عليه ما حيت بدمية تجول على الخدين تهمي فتهمرُ

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت : من مات فقد فات .

فأجابت بعض خطابها فمقد عليها . فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت
في منامها فقال :

عقدت ولم ترعي لبعلك حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي المهدياً
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له بقاً ولم تنجزى الوعداً
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحداً

فلما سمعت هذه الأبيات ، انتهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت ، وأنكر
ذلك من حضرها من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات ، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه ،
فتفلسهن وأخذت مدية ، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها . فقالت امرأة منهن :

لله درك ماذا لقيت من غسان
قتلت نفسك حزناً يا خيرة النسوان

ومن أثر الإنصافَ وسلكَ سبيلَ العِلْمِ والعدْلِ تَبَيَّنَ له راجح المذاهب من مرْجُوحيها،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصُّفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة، والنعامة تخفيها بريش ، ولا تُبديها للشمس والريح لثلاثا تنفير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن عليّ بن أبي طالب - رضی الله عنه - عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمغازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدّمي والصّور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتروّجت !

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عمِّ لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بـمـدى والذي تضميرن يا أمَّ عُقبَةَ
تحفظين من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلقي وصُحبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجنِ غُربَةِ

(١) في خزانة الأدب للبغدادي . (٢) تكن رأسها : أي تخفيها كما هو مشهور عن النعامة غالبا .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أُجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا جَمَلَنَّهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :
قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمَّ عُقْبَةَ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيِّتُ بَنُوْحٍ وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا أَوْ بِنْدَبَةَ
فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاطًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
بِمَدِّ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَا خَيْرَ مَنْ عَوَى مَرَّ فَارِعَى حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَد رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِيَ الْعَمَّ دَفْكَوْنِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِجَبِيَّةٍ لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزِعَاةً حَتَّى نَلْتَقِيَ يَوْمَ نُحْشِرُ
وَإِنِّي لِنِي شَنْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بِمَنْ مَاتَ يَمْدُرُ
سَابِكِي عَلَيْهِ مَا حَيِّتُ بِدَمْعَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخَلْدِيِّنَ تَهْمِي فَتَهْمُرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتْ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدَ فَاتَ .
فَأُجَابَتْ بِبَعْضِ خُطَابِهَا فَمَقَدَّ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةَ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا أَتَاهَا آتٌ
فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتَ وَلَمْ تَرَعِي لِبُعْلِكَ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاظًا لِصَاحِبِ حَلَفْتَ لَهُ بَقَاءً وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
غَدَرْتَ بِهِ لِمَا نَوَى فِي ضَرْيَجِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
ذَلِكَ مِنْ حَضْرَتِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِيْنِيْمَا مَا هِيَ فِيهِ ،
فَتَنَفَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لِلَّهِ دَرُّكَ مَاذَا لَقِيَتْ مِنْ غَسَّانِ
قَتَلَتْ نَفْسَكَ حُرْزَانَا يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

وفيت من بمد ماقد همتِ بالمصيانِ
وذو العالی غفورٌ لسقطه الإنسان
إنَّ الوفاء من الله لم يزل بمكانِ

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيتُه وكأنما أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرّة عائشة هذه - قالت لمولاة عائشة يوماً : أرى مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أني عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تمتسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرّتها فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأمّلتها مقبلة ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أتى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلها ، واستظھري فإن عائشة بنت طلحة تبيع معك ، فاستظھرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة فداجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذ أركب قد جاء فضنطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة !

(١) رواية الأعيان للتراجم ص ٤٣٨ .

القبلة، وإباحتها (و)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوي الأخطر ، ولاخطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحبون كِبائرَ الإثمِ والفواحشِ إلا اللِّمَمَ . . . » والحديث الذي يقول : يارسول الله إنى لقيت امرأةً أجنبية فأصبت منها كل شيءٍ إلا النكاح ، قال : أصليتَ معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفرَ لك . فأُتِلَ اللهُ تعالى : « وأقيم الصلاة طرفي النهارِ وزُلْفاً من الليلِ إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه فنتت قلبي فهو مفتوت
لا تحس أنقاسي ولا حرها فإتما خدك يا قوت

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألها رشف ريق مستعذب الطعم حلوى
قالت : فصفه ارتجالاً فقلت : بمد التروى

ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلةً في فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحي لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن العطار :

جمعت بالراح شملي فالله يجمع شمك
وكم يدك عندي دعني أقبل رجلك

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبلةً بخندٍ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سألته قبلةً الذبها فصدّ عني وقال سروالك
فقلت : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروطٍ على الخلد » :

بروحى مشروط على الخلد أسمر وفاودنا بعمد التجنب والسخط
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقيلته ألفاً على ذلك الشرط
ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا
ولآخر عفا الله عنه :

قبت مبسمه فقال تذللّا عند اللقاء له ونحن صيام
أفطرت ياهذا ، فقلت له : ابتدا ء الصوم مع رؤيا الهلال حرام
وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقزبه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ثواك في مثوى الحبيب وداره

محاسن الخلق والخلق (١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجمله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مليح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره
كالشَّمس عند طلوعها بل أشرقُ
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى
ليلاً ، وبثُّ بدمع عيني أشرقُ

مروفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى
لاح به أثر الصبابة لايجُ
وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضحُ

وقال له :

وجه يفوق الهلال حسناً
ويُنجلُ البدر إن تجلّى
يقول في الحال من رآه
أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أحبُّ من المردان كلَّ مهفهفٍ
فأما إذا ما الشعرُ في خدِّه بدا
رشيق المثنى لم يسر في خدِّه الشعرُ
فلا خير في اللذات من دونها السترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح
لو أرادوا جنايتي
ثمَّ لاموا من افتتن
حجبوا وجهك الحسن

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبت له روحى فعدَّ بها
أدرك بقية نفس فيك قد بلغت
ورمتُ تخليصها منه فلم أطق
قبل الماتِ فهذا آخر الرَّمقِ
ولابن الخطيب في « الحسن » :

الذُّرُّ فوق جبينه يتوقَّدُ
كتب الهوى بيد إليه يؤكِّدُ
والماء في وجناته يتردُّ
بالحسن فوق جبينه يا واحد
وله أيضاً :

جفون ممذوبى يملأه
لكننى لم أذا عنه لأنه
مئى وإن وداده تكليفُ
خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ
ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بى سقام من جنون
وعيون فأتسكات
قد جفونى لست أبرأ
من سيوف الهند أبرأ

ولآخر :

كأنَّ مقاته صاد ، وحاجبه
فصرت أعبد منه فى الهوى صنماً
نون وموضع تقبيلاته ميم
وعابد الصم الإنسى مخدوم

ولآخر - فى العيون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر
أين القياس لمن يصحَّ قياسه
دعج تدبه إنَّ فمك راقد
بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظيبي إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدت سوافها
وإن كان جبل الجفا سود معارفها
ولآخر - في ذلك :

كدت أشتهى بحبيبي ألف ناقة سود
أزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بمینه الزرقاء
واعجباً أحبه

وفي أحول :

قالوا شنت بأحول فأجبتهم
لا تحسبوا حولانه . . لكنه
وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً
وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بمدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء ياسكني
وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
فهل تأذن لطيف منك يطرقة
كما بد النار يهواها وتحرقة
يمشى بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثغرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي حابر في جماله
وعرينه أقى أثم وطرفه
وقلبي ، فقل لي ما الذي فيه أصنع
كحيل ، وخذاه من الورد أصبغ
وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذبي
إن الذي ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والعذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو عاينت عينك حسن معذبي
عين الرشا ، قد القفا ، ردف النقا
مالمتني ولكنت أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر
ولا بن مبارك :

يا أيها العشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امسرى
متيم يسأل كفى يهتدي
على مליح في الهوى أم ردى
وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادن في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها
جردها للفتك من غمدها
فبحظه أقطع من حدّها

ولأبي نواس - في أحور ساحر العيفين :

وبلى على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما
وساحر العيفين مسحور
نختاره نحن على الحور

وفي من يبكي ! :

يا قرأ أبصرت في ماتم
لا تبك للميت ياسيدي
يندب شجواً بين أثواب
وابك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن ينزه طرفه
أخذ المرأة بكفه فتنهراً
فكأنه وكأنتها في كفه
شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبيع القوس للمشتري ؟

وللازميري في رام :

بأبي وأمي رامياً يسيب الحشا
لما أراد اطلاق سهم رامياً
بلواحظ تسطو على العشاق
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبي سهم طرفي
على عجل ولم يعجل رؤيدا
فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كأن من أبداع في خلقه
مستخرج في الرمل أشكاله
يزدحم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله
وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيبي والقنا
وقال وصلى غفلة
بالرمل إلا بفيض داخل
والأنامل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صد عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبدأ بطلعته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن المزيّن في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه قال على ما اقتتلوا هكذا
والحرب فيما بينهم تسارٍ قلت على عينيك يا تاجرٍ
ولالأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمدح عشاقه ما ردّ يوماً منها زياراً
مألاً ووصلاً ليري ناديه لأنه متّسع الدايه
وله في شاعر :

لا تمدلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاق
فهو البديع حسنه لكنّه يميل للتصريح في الطباقي
ولآخر في الخدّة :

بدّا في الخدّة عارضه فأضحى عليه مفيض بالوم يُنزي
وحاول أن يرى مني سلوا فقال : لقد تمذّر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خدّه عذار :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعت في حبّه عذارى
قد كتّبت الحسنُ فيه سطرأ ويوجّ الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمّه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فأشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن - وقد تمّعت معاني وجهك الحسن -
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى ومعا الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة ونفاق
كتب الزمان بخطه في خدّه هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحى بخطى عذاره
فأصبح من بعد التثعم في ضنك
تناديهما عيناها حزناً : قفانبك
ولآخر ... اقتباس :

قتل الناس باللواظ حتى
طلعت ذقنه وعيناها كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً
وآخر .. مثله :

لما بدأ في خده عارض
وقلت غدا عارض ممطر
بشرت قلبي بالسوء المقيم
فجاءني منه عذاب أليم
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباد السواد ضوء نهاره
كل من مات سوّوا باب داره
ولابن نباتة :

وأمره مقتته ربه
أرسله الله لنا آية
بدله بعض الضيا بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فيا له حسن وجهي
حتى غدا وهو حار
دارت عليه الدواير
وقال آخر :

وخلصني من يدي عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خده حسدسه
ولحيته كانت المكسسه
وقال آخر . والله درّ قائله :

ولا بفعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بعماد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالخدود

ما قيل في الأسماء (١)

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قتيل عيونك الشجر
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا سميت خاتم الرسل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبتت كان أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها المودع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستاهل ناراً مهيجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يعد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى وهيب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر والله در قائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة وأظن بها ناري التي لا تمجد
قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمسقت ظلياً فاتن اللحظ فاتراً أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتى له طلعة كالبدر والنصن قدّه
مليحاً بيدر التّم في أفقه يذرى وناظر من بابل جاء بالسحر
والحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له ولا بدع إذ بالنت في مدحه إذا
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

من حبيبي ووفى ولا عجبياً من أبى
وعداً له وحققه بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم في الهوى إذ نظروا حين سموك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وإلى بشمعتين ووجهه ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى
بضياته يزهو على القمرين فأجابني عثمان ذو النورين

لنر في عثمان :

يا أيها العارف في فنّه ومدعى الفهم وعلم البيان
ما قولكم في أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى على :

قال المذول مذ رأى قلبي به في شغل
بمن فتنت في الورى؟ فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى وبه قلبي المعنى قد بلى
وإذا ما غاب عنى شخصه صاح قلبي وحشة يا لعلى

ولابن حنبل الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا
قالوا سلوى كل حبّ
قد غدا قلبي عليلاً
قلت إلا عن علي لا

وللحجازي في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوي
في هواه حقاً لقد طاب ذلي
شرح حالي أغنى عن التميز
حيث أصبحت عبد عبد العزيز

ولالأزهري في عبد القادر :

حبّي عبد القادر الذي له
وكيف لا أريده بين الوري
بهجة حسن والوري عبيده
والله يدرى أنني أريده

لنزل في عبد الله :

اسم من أهواه ياسيدي
وأخو الورد تمام اسمه
فيه من المنبر حرفان
وواحد ليس له ثنان

وفي عبد القوي :

عبد القويّ سباني
وصرت عبداً ضعيفاً
بقده السمريّ
في حبّ عبد القويّ

وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذي
ولا عجب إن بدا لطفه
فطانت أسكنته الفؤاد
فعبد اللطيف لطيف العباد

وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى
لا تخشى من ضياع
قد أبحج الله قصده
فالله يحفظ عبده

وفي محمود :

يقول لي منكر حالي به
فقلت لا تسل بحقّ الهوى
من لك في ذا الحى مقصود
عنه فقصدي فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجدى إلى زمن
يسبنى فيه كلب وهو محمود
وفى إبراهيم :

عجبت لئلا قلبى كيف تبقى
حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً
وبرداً إن إبراهيم فيه
وفيه أيضاً :

لا زال بابك للسكرام كسبة
فترى بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأصرهم
هذا المقام وأنت إبراهيم
ولا بن نبأته فى خليل :

يفيب خليل الحسن عنى ليلة
فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب العيش عندى والكرى
وليس إلى جنبى خليلاً إلا عبه
ولمزم الدين الموصلى :

قال حبى خليل غيرت ودى
وتركت الفؤاد منى عليلاً
بمد عشق الملاح صرت تقيماً
ما تراعى من الأنام خليلاً
وقال فى يعقوب :

يعقوب إنى يوسف قد تركتنى
من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصرًا
وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً
ولا بن الخياط - فيه أيضا :

رأيت أنى فى الكرى لاثماً
مبسمك الشافى آلأى
يوسف انبينا بتأويله
فقال هى أضعك أحلامى
لمز فيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته
إنى بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى
مكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في حلق غزالا تحير في وصفه الميون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تحلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
عيسى بن مريم كان يحيى من يرى وتمت أنت الحى حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقز بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجمود
فاذا بدا فكأتما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشبية ينهل
فهذا سليمان لركة خده إذا دب فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهفف طلعت له ليس بها مناظره وقده غصن نضر
يجرى لنا ماء الحياة وتغره لا تمجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدلى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى بهز معاطفا أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كل حلاوة في نصفه

علي بن سودون - في بركات :

قد صاد كلّ فتى وكلّ فتاة
لا تياسنُ يا قاب من بركات

رشأ يعصيد الأسد في اللفات
الوجه منه مبارك فإذا بدا

ابن القيصراني في منصور :

ما سكنت ولدانها الحور
وأنت يا منصور منصور

يا قمر الوصل في جنة
كم حاربتك الشمس في حسنها

النواجي في نجم :

من وصله كل ما أهوى وأختار
فصحّ عندي أن النجم غرار

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
حتى رماني في نيران مهجته

وله في سعد :

وتفانيت بوجدته
إنما المرء بسعده

أنا قد همت بسعد
فأطرح نصحي ودعني

وله في سعيد :

ولي شقاء به يزيد
هذا شقيّ إذا سميد

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدرى

وله في قاسم

فتاه دلالاً واثني وهو باسم
فنحن قسمنا وارض بالحب قاسم

شكوت له حالي وفرط صبايتي
وقال استمر صبري وكن متأسيّاً

ابن العطار في يحيى :

تكابد في هواه عليه أشيا
ويرضى أن أموت بحب يحيى

أيمكن سلوتي يحيى ؟ وروحي
وقلبي يشتهي فيه اكتتابي

وله في هاشم :

من لحظة الفاتك بالعالم
لقلة الإنصاف في هاشم

في هاشم قلبي بدا دايباً
وكسر قلبي صحّ في عشقه

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأزام بعامر
يهتد قلبي بالسدود وبالخفا

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن اضمن بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لائمي في رشيق القدم ممتدلي
أشكو الشدائد من وجد أكابده
للحجاج في أمير حاج :

مننت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج
ولا بن نباتة في عماد :

قالوا العباد ملىح
بحسنه قلت قصدي

لعز الدين الموصل في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شحماً

لابن نباتة في إلياس :

أفدى ملىحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من

لنز في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي

نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على المئين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الجسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على الحسن
وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بسهم اللحظ قلت له اتشد
وفي بدر :

سموه بدرأ وذاك لما
وأجمع الناس إذ رأوه
وفي كمال الدين :

ديني تكمل مذ جُعلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كآها
وفي عز الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقةً حسنت حالي
وفي تاج الدين :

جراهر لفظ لم ينلني تاجر
فزادت بهاء من عطائك سيدي

الشمهاب الصائم، في محبّ الدين :

في ملاح لك ننتي
كم ليالٍ مع غزال
يا محبّ الدين
القاب وشتا
بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

أشبهه شرف الدين يرجون السيادة
كيف يرجي منه خير وهو شرف زيادة

في زيتون يهجو فيه :

سموك زيتونا فما أنصفوا
لأن للزيتون زيت يضي
لو أنصفوا سموك زعرورا
وأنت لا زيت ولا نورا

في بونس :

وقالوا حبيب القلب بدره وقده ،
فلو لم يكن غصنا لما كان مائلاً
حكي البدر وجهها قلت بل هو أملس
ولو لم يكن بدرأ لما كان يونس
آخر ، وأجاد :

شنت بفتان اللواحق أهيف
فإن غاب عن عيني تصورت شخصه
له مقلة سوداء والحدّ أطلس
فيوحشني والحب في القلب يونس

في مقبل :

يامن تحجب عن محبّ صادق
من لي بيوم فيه يسمح باللقا
ما زال عنه كلّ يوم يسأل
ويقال لي هذا حبيبك مقبل

في شاهين :

يامن تسمّى بشاهين وسميته
قد اشتبهناك بالشاهين لا نقسا
خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا

في عنبر :

مذ رأني عنبر حبيبي
أرشفني من لماه خمرأ
وعرف رياه قد تمطر
وشاقني من شذاه عنبر

في بشير :

بشير سبا مهجتي
وقد جاد لي بالرضا
وجا كبدر منير
وللاواصل وافي بشير

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل
وقد فاق ريتاً نشره كلّ مندل
أهدنا شذا مسك توضع نشره
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مد زار كافورنا البديع سنا
ووجهه حفّ من سنا النور
شاهدت من خاله بوجنته
نقطة مسك تبسّدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زياراً
وقد بت بالصباية ماسوراً
فقات لهم قد زال همي بوصله
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجوى
وبعاد قلبي شفه الأشجان
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبدا بعارض خده ريحان

في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
وصير الدمع بحدّ يسبيح
فكيف لي بالصبر عن حبه
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عدولي
مقالك أطلت فيه مقالك
لو زارني كنت أحظى
منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
وربّما تبلغ المراد وكم
عسك بالوصل منه تبهج
قد جاء عند الضيق الفرّج

وما قيل في المهن والحرف

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدأً وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخانق :

تسلطن في الملاح بخانق ولم يرض بيدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جنداً وأصبح موكباً تحت العصايب

في حياك :

يا مليحاً مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحيك صنمته قات هذا البدر في الحيك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحاجم في الكاس أجرى دماً من ساق ساقينا بإشفاق
لكنّه خالف في شرطه فحكّم الكاس على الساق

في حریری :

حریری بییع الحسن لكن شبيه النصن والبدر النیر
كسی جسمی السقام ولا عجیب لثوب السقم من هذا الحریری
وما أحسن من قال ما ينسج على تكّة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفتحُ إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تعشّقت حداداً بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالتطريق وصلّاً بقربه أراه ستر النیظ ثمّ ينفخ

في حلاوى :

في خصره دنف والرّدف منقوش
والخد منى بماء الدمع مرشوش

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والدمع سكب وأحشأى تقوضه
لابن الوردى فيه أيضاً :

أنا لا احسن معدن
وعدوى مكفن

الحلاوى قال لى
سهم عيني مسبر
والصفدى فيه أيضاً :

يتجنى على الكئيب ويحمد
دعه فى دسته يحل ويمعد

إن هذا الصبى الحلاوى أضجى
لا تمارضه فى هواه بشكوى

في حوايجى :

قلت له يا أخا الرضا صف لى
قال يداوى بجرم النخل

حوايجى أنيت أسأله
فى عنق دمل به ورم

لابن الوردى، فى خياط :

وفصل العاتقين والبدناً
المايز الوصل يا مليح أنا

لما أتى والمتص فى يده . . .
فقال وصلاً يعوز قلت له

وأيضاً فيه :

وشاكل غصن البان لما انثنى قدأ
فلم ثوب قلبى لا يحاط وقد قدأ

مررت بخياط حكي البدر طلمة
بقدّ ويفرى الثوب ثم يخيطه
وللازميرى فيه أيضاً :

وصلاً أراه جا بالمطوب
فرجها بالوصل والركوب

لله خياط إذا سألته
وإن شكوت غمّتى ردفه

فى ذهبى :

أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

عشقتة ذهبى اللون طلعتته
إن مات طبعاً إليه ليس ذا عجب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للعطب
ألم ترني على شفق أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدي عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدي إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى وثغره كالدرّ إذا تبسم
قلت له سلني ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بنية النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفي ما فرق الهجر من فؤادى
وللصفدي فيه أيضاً :

ورفاً له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تحفي
شغلت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارني وبكاس فيه لما سقاني
لما نظرت إلى شقايق خده سبب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكري :

سبتني صفات السكرى الذي له بضاعته حتى عدت قراري
مكرر لفظ في سديتات مبسم وأحمر خدّ في نبات عذار

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفني في كفه

ولبدر الدماميني، في سبائك :

سبائك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :

نواه قلبي فسرّه إذ ذاكا
قال نعم مذ عشقت سبائك
به قد ذبت وجداً من ضحيج
يلدّ لي الركوب على السروج
إذا جذب الغرام له عناني
فنتت به سروجياً بديعاً
في سقا :

للكلّ حين قد غدا راويه
وعبرتي من صبوتي راويه
وللأزميري فيه أيضاً :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
عشقت سقا كالزالل رضابه
يروى المرّاد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماسة، في سراي :

فسكأنه من خمير فيه قد انتشا
وإليه قلبي لم يزل متمطّشا
أطفي بها من كبدي جره
أن تتبع الشربة بالحسره
سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

جميع الحسن منسوب إليه
يذوب الشمع من أسف عليه
نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جمر لا لهيب
مواليا في صابوني :

لما هجر قلت عين الناس صابوني
ماخلت عنه ولو بالنبل صابوني
حببت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتّى أقبل فاه كلما نفخا
وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي النخس في حركاته
أصيرٌ روحى في هواه سبيلاً
عجباً له يرى السقام بلطفه
وبطرفه يدعى السقام عليلاً

وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه
قرأ له قر السماء رقيق
وجناته ماء ولكن قلبه
حجر وأما خصره فدقيق

وله أيضاً في عطار :

قلت لعطار به صبوتى
محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غراى به
ذبت ومن فيك برانى الشراب

وفي مليح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
وجدت بجانبه ظبياً رمانى
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى

ولابن الفرس، وأجاد، في عوام :

يا حسن عوام كنعن النقا
يبيخل بالوصل لمن هاما
ويقع المشاق منه بأن
يريهم الأرداف إن عاما

وقال آخر، وأجاد، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
رمى في القلب بالبحران جره
فهمت من النرام له بحب
وقصدى منه أن أحظى بجره

وفي قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى
بقبانٍ ودمع العين سايلى
فدلّ بحسنه تيهاً ونادى
إشارات الحب لها دلايلى

وللسيد محمد رضوان الرعاد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجزئنى
بالصد والهجر أنواعاً من القصص
إن تحسن القص ينأه فقلته
أيضاً تقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

من بايع الكتان من ربط
سرحه لكن على المشط
ولا بن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبة لي مخرجاً
قرأ طرز بالبدر الدجى
ولا بن العفيف - في كوانى :

قد أظهرا . لوعتى ولبى
قالوا كوانى فقلت قلبى
وقال آخر ، في ملىح مكحول :

يا أيها الرشا المكحول ناظره
إنّ انماسك في التيار حقق أنّ
ولا بن الوردى ، في مزين :

بأبى شادن تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
ولأبى الفضل بن أبى الوفا ، في مجبر :

أحبت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجوى
ولا بن الوردى ، في مياميزى :

بالحسن أصبح أرقم وتطريزى
أكباد من لام فيه بالمياميزى
ولآخر - لبايح الفخار :

قال للعاشق جهره
قال قصدى ألف جره
بايح الفخار بدر
ما الذى تبغيه منى

وفي ملالي :

ملالي المـسراق نوى حـبـجـازا
إذا سألوا وداعاً لم يـجـبهم
وقال ابن عربى ، فى ناتف :

به المشاق وجـدأ قد أمالا
بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقالوا دع المـجـبـوب وأهـجره دائماً
أينـتـف من أـجـلى ويـتـعب نفسه
ولابن الوردى ، فى نطاع :

بادرنى بالـلـحـظ والـصـفـع
قابلى بالسـيـف والنـطـع
هويت نطاعاً إذا جيتـه
أروم أن أحظى بـوصـلـه وقد
وللسراج الوراق ، فى وراق :

قد راق فى التـقـيـل عـنـدى ورق
ما أحسن الأـغـصان بين الوراق
يا حسن وراق أرى خـدّه
تـمـس فى الدكان أعطافه
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

بقاب الصبّ نار البحر أصلاً
وبنضب إن طلبنا منه وصلأ
فنتت بحسن وراق نفور
صقيل الوجه كم ذرح لديه
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، فى وقاد :

أزله برضى النرام فؤادى
إن مات نحو الكوكب الوقاد
أحببت وقاداً كـبـدر طالع
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل
وللصندى ، فى قطان :

قطاننا مهفـف
تمتله أردافه
ناديت من وجدى به
ياليتنى ندافه

وله فى بياع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى
لما نظرت إلى رياض خدوده
يوماً لكان بوصله يشفـيـنى
سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله ، في بيع نرجس :
بالروح أفدى فوجيا خدّه
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزّهت طرفي في عيون النرجس

وله ، في بيع بنفسج :
سما بنفسجنا
لما بدا في خدّه
بحسفه قلبي الشحجي
عذاره البنفسجي

وله ، في بيع تفاح :
لله من بيع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله ، في بيع سفرجل :
لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرنفل
بفنج طرف بابليّ أكله
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بيع الورد :
لله وردٌ نبا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثغر من شهيد
تيم قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعراء

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعراء

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتمطرّ ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة المنظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا ييده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرّ إلا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقيل له :

كيف تدمّهنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنىّ . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرون العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرات : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرًّا . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كلَّ الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يمرض ، وقد زين داره وزوقها وكتب

على الباب : « لا يدخل عليّ من هذا الباب شيء من الشر » .

فقال له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتسكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ،

إذا فرغ لكنن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يجاربهن ، فقال لأصحابه : كففوا

عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة

الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكنن

ناحية منهن ، فمضى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها ففضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت

ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ويبس

لثلاً يمنعها الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن

صحبتهن ، ولكن لا بد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضی الله عنه : عودوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجريهنّ على الألسنة .
 وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهنّ وخالفوهنّ »
 وقال علي - رضي الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يا بنيّ ومشاورة النساء ، فإن
 رأيهنّ إلى الأفنّ ، وعزمهنّ إلى الوهنّ . واكفف عليهنّ من أنصارهنّ بحججك إياهنّ ،
 وإن استطعت ألا يعرفنّ غيرك فافعل ، ولا تطلّ الجالوس معهنّ فيهلككنّ وتمأمنّ ، واستبق
 من نفسك بقيّة .

وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكمل من النساء
 إلّا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » .
 وخاطب النبيّ عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهنّ : « إن كننّ إذا جمعنّ دقعتنّ ،
 وإذا شبعنّ أثيرتنّ » . وفي بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثيرتنّ : حججتنّ) .
 ومعنى (دقعتنّ : خضعتنّ ولصقتنّ بالدمعاء ، وهي غيرة التراب ، ويقال - فقره مدقع ،
 أي ماصق بالدمعاء . وقالوا : رماه الله بالدموعة ، وهي الفقر والذلّ ، وجوع ديقوع - أي :
 شديد .

وقال النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام - في النساء : « ما تركتُ بمدي فتنةً أضرتُ على
 الرّجال من النساء » . وفي الشهاب : النساء حباثل الشيطان . وقال سعيد بن المسيّب رحمه الله :
 ما أيسر الشيطان من شيءٍ إلّا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
 وقد ذهبَ بصره : ما شيءٌ أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم في هذا المعنى :

أضرتُ شيءٌ على الإنسان شهوتهُ	تلك التي أوردتهُ لُجّة النّسكدي
إنّ الفضول لعمرو الله أدخله	في أن يكابدّه همّ الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كلُّ بشهوته ، فاعط ، أو .. يعيد
فاضطرّه الحال أن يسمي ليرضيه	فظلّ من بلدٍ يسرى إلى بلدٍ
كأنه حجّجٌ يرمي به نزيق	من هاهنا لهنا ، أو من يدٍ ليدٍ
ما همّه الدهر إلّا ما يؤلفه	وما يجمّعه من جيّد وردٍ

وما يبالي حراماً منه ذلك أتى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أمتى يُفرِّقها فيهم وزيئته
ورُبما أسخط المسكين خالقه
الفرض ضيعة ، والدين أئله
وكل ذلك من أجل النساء ، فلا
يسلبن لب ذوى العقل الرصين ، كما
يارب شهوة وقت أورث غصصاً
قد كان في شغل عنهن قاطبة
لكنه عميت عن ذلك مقلته

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وقالوا : تزوج فنعم الفتاة
ولو أستطيع لطلقت نفسي
أشقى بها دون ما ضرة
وما تقنع العرس منى بشيء
فنفسي أولى بنفسى ، ودع
عرَضنا عليك تنل خيرها
فكيف أضيف لها غيرها
وآمن من ضرة ضيرها
سوى أن تصيرني غيرها
سواها نسر وتصل سيرها

بنات الأربعين من الرزايا

أنشدني أبو عبد الله اليزيدي ، قال : أنشدني عمي لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مطيات السرور بنات عشر
باب جاوزهن فسر قليلاً
مقاساة النساء مع الليال
إذا أولدتهن من البليال
إلى عشرين ، ثم قف المطايا
بنات الأربعين من الرزايا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع «عُتْبَة» جارية المهدي، تدلُّ على كمالِ ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بندااد قال:

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر «عتبة» - لأول دخوله بندااد، ولم ينل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق، فدُلَّ على شيخ صائغ، فجاء إليه فقال: إنني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة... يعني «عُتْبَة» .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة» فقال لها: إن الله قد ساق إليك أجراً، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال: أتمهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قطع الزنار، ومال على يديها فقبَّلها .

فلما فعل ذلك، رفعت البرُّس عن وجهه، فمرقتُه وقالت: نَحْوُه، لعنه الله! فقالوا لها: لا تلغنيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لِقَدْرِهِ . فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردتُ أن أشرُفَ بولائها، فالحمد لله الذي منَّ علىَّ بحضوركم .

وجلس أبو العتاهية، فحَمَلُوا يعلونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذلك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدَّث المبرِّدُ: أن «رَيْطَةَ» بنت أبي العباس السفّاح، ووجهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للعتق، وأمّرت جاريَّتها (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بمدّها - أن تحضر ذلك . فإنها لجالسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسك فقال لها:

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراي وعتق ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبدالله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضماً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدرين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبيل يدك !

بين الحب والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بنداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند امرأته ، ولم يكن لهم في بنداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذي يباب الجسر ، في كل غداة . فررت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثم مرت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدثت الناس بعشق أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدعا التعرض للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلناه كانا عاشقين .

فلما كان الغد ، مرت (عتبة) فمرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبعهم ، فمضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأتيتك ، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فافعل ، بأبي أنت وأمي ، فإنك إن سفكتِ دمي أرحمتني . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب . !
فقالت له : أبقى على نفسك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولَّى هارباً ، فقالت : رُدُّوه ، وألحَّت عليه فيها . فقال لها : جُهِلْتُ فذاك ، ما أصنع بمرَض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . . . والله إنك لتبطلين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحَبْتُ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تاح عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفيني

ومن أطف ما قاله أبو المتاهية في (عتبة) قوله :

بالله يا خُلوةَ المينين زوريني	قبلَ الماتِ ، وإلا . . فاستزيريني ا
هذان أمران ، فاختراري أحبهما	إليك ، أو . . لا . فداعني الموت يدعوني
إن شئتِ موتاً ، فأنتِ الدهر مالكة	روحي ، وإن شئتِ أن أحيأ ، فأخييني
يا (عتَبَ) ما أنتِ إلا بدعةٌ خلقتِ	من غير طين ، وخلقُ الناس من طينٍ
إني لأعجبُ من حبِّ يقرَّبني	مما يباعدني عنه ، ويقصِّبني
لو كان يُنصِفني مما كُلفتُ به	إذن . . رضيتُ ، وكان النصفُ يرَضيني
يا أهلَ ودِّي . . إني قد لَطُفتُ بكم	في الحبِّ - جَهدي - ولكن . . لا تبالوني
الحمد لله ، قد كُنَّا نظنُّكمو	من أرحم الناس - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطعمتني في قليلٍ كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عتَبَ) يا قرَّ الرِّصافة	ويا ذات الملاحه والنظافة
رزقت مودتي ، ورزقت عطفِي	ولم أرزق - فديتك - منك رافة
وصرتُ من الهوى ذيفاً سقياً	صريماً كالصريع من الشلاقة
أظللُ إذا رأيتك مُستَكيناً	كأنك قد بُمِئتِ على آفة

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمدٌ ، ولم يدري ما بي
فتنقستُ ، ثم قلتُ : نعم ، حباً
لو تجسّين يا (عُتْبَةَ) قلبي
قد لعمري ملّ الطيبُ وملّ الـ
كيتني متّ فاسترحتُ ، فإني
أُحِبُّ الغداةَ (عُتْبَةَ) حقاً ؟
جرى في العروق ، عرقاً فـ
لوجدتِ الفؤاد قرحاً . تفقاً
أهلُ مني ، ممّا أفاي وألقى
أبدأً - ما حيت - منه ملقى

وفيها يقول :

(عُتْبَ) ما للخيال
لا أراه . . . أتاني
لو . . . رأني صديق
أو . . . يراني عدوي
خبّيني . ومالي ؟
زائراً . . . مُدّ ليالٍ
رقّ لي ، أو رثي لي
لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَةَ) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجبت جهازها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إن الرشيد سنج له شغل استمرّ به ،
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسّم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تنسّمتُ الرّياح حاجتي . فإذا لها من راحتك شيمُ
فقال الرشيد : أحسن الخبيث . إذن . . . على بالثانية . وكان مكتوباً عليها :
أعلقتُ نفسي من رجائك ماله عنقٌ يحثُّ إليك بي ، ورسيمُ
فقال الرشيد : على بالثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولرّبما استيأستُ ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ،
وفي غدير تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبمض إلى (عُبْتَبَة) وقال لها : إن لي إليك حاجة ،
فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستمعيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته
إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي
أو تضمنين قضاءها ؟ قالت : أنا أمُتُك ، وأمرُك نافذٌ في .. . فيها خلا أمر أبي العتاهية ، فإني
حلفت لأبيك رضى الله عنه - بكل يمين يحلف بها برئ وفاجر . وبالشيء إلى بيت الله الحرام
حافية ، كلما اقتضت عنى حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أذنتُ
شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسرور وحسين
ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لأدري أين أنا قائم أو قاعد؟
قلت : الآن يئست منها إذ ردّتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بمدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :

قطمت منك جبايل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حلّ وعن ترّحالٍ

وروى أبو سَلَمَةَ الغَنَوِيُّ أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول الفزّال

إلى قول الزُّهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إنى لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصدّ واللّلات
منحها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي
هيمنني حبها ، وصيرني أهدوءة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عُتْبَةِ ،
يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟! .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى
من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلُعِي

المحبة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ،
واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه . ولا يزال يضطرب
شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ،
وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أتى أحنُّ إليهمُ وأسألُ عنهمُ من لقيتُ وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

يرى الفؤاد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي :

أعانقها والنفسُ بمدُّ مشوِّقةٍ إليها . وهل بعد العنّاقِ تدانِ ؟
والثَّمُّ فإها كي زولِ صباقتي فيشتدُّ ما عندى من الخفقانِ
ولم يكُ مقدارُ الذى بي من الجوى ليشفيهُ ما ترشف الشفتانِ
كأنَّ فؤادى ليس يشقى غليلهُ سوى أن يرى الروحين يمتزجانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرفني

وقال عبد الله بن الدمينية :

ولو قُلتِ : طأ في النارِ، أعلمُ أَنَّهُ رضاً لكِ أو مُدُنٍ لنا من وصالِكِ
لقدَّمْتُ رجلي نحوها ... فوطئتها هُدَى منك لي، أو.. ضِلَّةً من ضلالِكِ
لئن ساءني أن نلتيني بمسائةٍ لقد سرفني أني خطرتُ ببالكِ

العشيق عفة ونزاهة

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرءِ ممن يُحبُّه حراماً، فخطي ما يجلُّ ويجمُلُ
حديثُ كماءِ الزنِ بين فصولِه عتابٌ به حُسنُ الحديثِ يفصلُ
ولمُ فم عذب اللثاتِ، كأنما جناهن شهدتُ فت فيه القرنفلُ
وما العشيقُ إلا عفةٌ ونزاهةٌ وأنسُ قلوبِ أنسهنَّ القنزُلُ
وإني لأستحي الحبيبَ من التي تُريبُ، وأدعى للجميلِ فأجلُ

الطَّرَفَ رَسُولُ رَائِدُ لِلْقَلْبِ

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطَّوَّافِ كأنَّها مِهاةٌ ، فجعلتُ أنظرُ إليها وأملأُ عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليكِ من النظرِ ؟ فأنشأت تقول :
وكنتَ متى أرسلتَ طرفك رائداً لتعليكِ يوماً ، أتعبتكَ المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنتَ قادرٌ عليه ، ولا عن بعضِه أنتَ صابرُ

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا
فَوَادًا وَلَمْ يَشْمُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
بِنِيرِ سِلَاحٍ مِثْلِهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُؤْتِي مِنْ عَدُوِّ وَجَاسِدٍ
هِيَ اعْتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً
فَأُتِيَ مِنْ عَيْنِي أُتَيْتُ وَمِنْ قَلْبِي
فَمَا أَبْقِيَا لِي مِنْ رِقَادٍ وَلَا لَبًّا

وقال ابن المعتز :

مَتَيْتُمْ يَرْقَى نَجْمَ الدُّجَى
عَيْنِي أَشَاطَتْ بَدْمِي فِي الْهَوَى
يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
فَأَبْكُوا قَتِيلًا بِمَضِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأَرَجَانِي :

تَمَّتْهُمَا يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنِ فَوَادِي فَإِنَّهُ
وَأُورِدْتَمَا قَلْبِي أَمْرًا الْمَوَادِي
مِنَ الظُّلْمِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدٍ

وقال آخر :

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا
فَأَلْزَمَ الْقَلْبُ طَرْفِي
رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي
بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السُّوُولَا
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيمًا
تَرَكَتَانِي قَتِيلًا !

لذّة الحبّ كلّها

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيمّ الجوزيّة :
« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال
عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأُنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته .
وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا » .

وقال بعض المارفين : « مَنْ قرّرت عينه بالله قرّرت به كلّ عمير . ومن لم تقرّ عينه بالله
تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات ، ويكفي في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب
ألّمّ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه
فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض المارفين يقول : مساكين أهل الدّنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يدوقوا
طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأُنس به والشّوق إلى لقائه ،
ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرث بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه
الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب
لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبون الصّبايةً كيتيني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدى
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي حبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتُ زَيْدِي

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
إِنَّ أَبَاكَ مَسَّنِي فَشَغَفَ بِهَا ، وَقَالَ فِيهَا :
أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْتَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
وَأَنْتَ لَوْ جَهَدْتَ عَلَى تَلَاْفِي لَقُلْتُ مِنَ الرَّضَا : أَحْسَنْتُ زَيْدِي

لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءٌ

وذكر العتبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
فنزلا تحت سَرْحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :
خَبَّرِينَا - خَصَصْتِ بِالغَيْثِ يَا سَرَّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقِ فِيهِ شِفَاءُ
وكتب الآخر :

هَلْ يَمُوتُ الْمَحَبُّ مِنَ أَلَمِ الْحُ بُّ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ اللَّقَاءُ
ثُمَّ مَضِيًّا ، فَلَمَّا رَجَعَا وَجَدَا مَكْتُوبًا تَحْتَ ذَلِكَ :
إِنَّ جَهْلًا سَأَلَكَ السَّرْحَ عَمَا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خِفَاءُ
لَيْسَ لِلْمَاشِقِ الْمَحَبُّ مِنَ الْحُ بُّ سِوَى لَذَّةِ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف

وقال أبو النجباب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بينَ الضمف ، يلوذ ويتموِّذ ويقول :

وددت بأنَّ الحبَّ يجمعُ كُلَّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصَّدْرُ
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبِّ أو ينقضى العُمُرُ
فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ،
ولكنَّ الحبَّ ملأ قلبي بفرح التذكُّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدُّ
عن معرفة ما بي . فتمنَّيتُ النِّى . والله ما يسرُّنى بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين
من السُّلك . وإني أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمرى ، ويجعله نجيمى في قبرى ، دريتُ به
أو لم أدرِ . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجَّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال :
خوف ألا يستجابَ دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبت ا

حجة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيِّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخزاعى :

أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبَّهم إذ كان حظى منك حظى منهم
أجدُّ الملامة في هوائك لذينة حباً لذكركِ فليلمننى اللومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصدِّيقِ فإنَّسى أحبُّو بصلاحِ شُكرى الأعداء
هم صيروا طلبَ المالى ديدنى حتى وطئتُ بنملى الجوزاء
ولربِّما انتفع الفتى بعدوِّه والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاء

وقال آخر:

عداى لهم فضل على ومينة
هو بحثوا عن زلتى فاجتنبها
فلا قطع الرحمن عنى الأعدايا
وهم نأفسونى فآكسبتُ المعاليا

وقال أحد الشعراء:

سررتُ بهجركِ لما علمه
ولولا سرورك ما سرتنى
تُ أن لقلبك فيه سرورا
ولا كنتُ يوماً عليه صبورا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١٨	التبريزي على الحماسة	١	المقد الفريد
١٩	سحر العيون	٢	خلاصة الأثر
٢٠	فوات الوفيات	٣	أمالي أبي القاسم الزجاجي
٢١	اليتيمة للشعالبي	٤	الإسعاف شرح شواهد الكشاف
٢٢	بغية الوعاة	٥	المضاف والمنسوب
٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٦	الحيوان للجاحظ
	اتفاق المباني وافتراق المعاني	٧	نمح الطيب
٢٤	إرشاد الأديب	٨	وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٥	الأغاني	٩	خزانة الأدب للبندادي
٢٦	العزير المحلى	١٠	لوعة الشاكي ودمعة الباكي للصفدي
٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك	١١	طوق الحمامة في الألفة والألاف
٢٨	الروض الأنف	١٢	سبحة المرجان
٢٩	السكامل لابن الأثير	١٣	شرح شواهد التحفة الوردية
٣٠	بدائع الفوائد	١٤	عيون التواريخ
٣١	روضة الأعيان للتراجم	١٥	خاص الخالص للشعالبي
٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور
		١٧	أمالي أبي علي القالي

فهرس

كتاب الحب عند العرب

صفحة	صفحة
٢٨	٣
أنواع الحب	تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	٤
ضروب المحبة	دعاء مأثور
٢٨	٥
حب الولد	كلمة اللجئة
٣٠	١٣
حب الأيامى واليتامى	صفات الحب وأغراضه
٣١	١٣
أمثال في الحب	الحب ما هو
٣٢	١٤
حجة بالنة	الحب والمحبوب
٣٣	١٦
حب الأزواج	عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	١٧
زواج النبي من خديجة	أحلام المحبين
٣٤	١٧
حب خديجة للنبي وتقديره لها	الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	١٨
خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	الحب مع اختلاف الدين
٣٦	١٩
السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	الحب في كل حال
٣٨	٢٠
عاتكة بنت زيد	حب النساء والمال
٤١	٢٣
زواج امرىء القيس	الحب خضوع النفس
٤٣	٢٤
ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	أشقى الناس أهواها
٤٤	٢٥
زواج حاتم الطائي	رابعة المدوية
٤٦	٢٥
حب سحيم لعائشة بنت طلحة	الحب أحسن المعاصى
٤٧	٢٦
الثريا وعمر بن أبي ربيعة	المهوى قدر
٤٩	
أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنهما	
٤٩	
المجرد والمرأة التى تبمها	

	صفحة		
الغزل ووصف النساء	٧٦	الشعراء العشاق	٥١
الغزل والتغرل والفرق بينهما	٧٦	جبل بئيفة	٥١
ياليل الصب متى غده	٧٦	كثير عزة	٥٣
استحسان وضاعة الوجه	٧٨	عمر بن أبي ربيعة	٥٤
كواكب لا كواعب	٧٩	من شعر أمية بن الصلت في الغزل	٥٥
كل فتاة بأبيها معجبة	٨٠	حب امرئ القيس	٥٦
أصل بليتي من قد غزاني	٨١	ذو الرمة وميمية	٥٧
تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٨٢	توبة وليلى الأختيلية	٥٧
صبح المشيب يدل على ليل الشباب	٨٣	عبد الله بن طاهر وجاريتته	٥٩
الشاعر الغزال	٨٣	بحر هوى ليس له شط	٦٠
غزال قد غزا قلبي	٨٤	حب زينب بنت إسحاق النصراني	٦٠
غرام أم جنون	٨٥	التائب من الحب	٦١
سلموس وسلمسة	٨٦	الحب والجمال	٦٢
طائفة بنت معاوية	٨٧	حب امتداح النساء	٦٢
وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح	٨٨	أعرابي يصف امرأة	٦٣
وصف : بيت المنذر إلى أنوفروان	٨٩	الوصف من المشاهدة	٦٤
نارس عربي جميل	٨٩	أسنان النساء	٦٦
غنيه : شحاذه	٩١	دائرة يلعب فيها البدر	٦٦
العيون	٩٢	المرأة والطيب	٦٧
لأعذب العين	٩٢	تغف الوجه بالخيط	٦٧
معاني لفظ العين	٩٣	تشبيه المرأة ببدر السماء	٦٨
وصف العين وأسماء أجزائها	٩٥	لقاء فتى جميل الوجه في الجنة	٦٨
آفة النظر وغائلته	١٠٠	تسكنى المرأة بالشاة أو البيضة	٧٠
		في أسماء النساء	٧١

الصفحة	الصفحة
١٤٠	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤٠	١٠٢ هند وأبو سفيان
الأعزاء	١٠٢ حكمة التعمد في الإسلام
١٤٣ بنات الأربعين من الرزايا	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤ طرائف عن الحب	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٤ حيلة عاشق	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٥ بين الحب والمال	١٠٨ رايات من نحر النساء
١٤٦ قليل منك يكفيني	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٧ من الحب إلى الزهد	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩ معي بين أضلعي	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٤٩ يرى الفؤاد الروحين يتمزجان	١١٢ وفاة عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠ لئن ساءني لقد سرني	المتوفى
١٥٠ العشق عفة ونزاهة	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٠ الطرف رسول رائد للقلب	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٢ لذة الحب كلها	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣ أحسنت زبدي	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٣ لذة اللقاء شفاء	
١٥٤ دعاء في الطواف	
١٥٤ محبة الأعداء	



Observatoire National de l'Université d'Algérie (UNOAL)
National Observatory of the University of Algiers

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف للطباعة والنشر
بسوسة - الجمهورية التونسية
في شهر جوان 1993

من مشرور الأدب

- الحب عند العرب العلامة احمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في اخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصباية لشهاب الدين بن أبي حجلة

تمت الطبع

رجوع الشيخ إلى صباه
للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف
التيفاشي القفصي
طبعة بتحقيق
حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب .

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 - ISBN

الثمن : 3.000 د.ت . أو ما يعادلها بالعملات الأخرى .

الطبعة الأولى : جوان 1993 .

من منشورات الدار

- الحب عند العرب العلامة احمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوطين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في اخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصباية لشهاب الدين بن أبي حجلة

ت الطبع

رجوع الشيخ إلى صباه

للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف

التيفاشي القفصي

طبعة بتحقيق

حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب .

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 - ISBN

الثمن : 3.000 د.ت . أو ما يعادلها بالعملات الأخرى .

الطبعة الأولى : جوان 1993